

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم –
كلية الآداب و الفنون
قسم الآداب العربي



مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر
تخصص دراسات أدبية مقارنة
تحت عنوان

المحاميل الثقافية و الأبعاد الحضارية دراسة مقارنة بين حي بن
يقضان و روبنسون كروزو

- إعداد الطالبة : - تحت إشراف الدكتور :

جعفر يايوش

✓ تونسى الزهرة

السنة الجامعية 2017/2016

إهداء

الحمد لله الذي وفقني لإتمام هذا العمل

إلى من أعلى الله منزلتهما، وربط طاعتهما بعبادته، إلى من لهما الفضل بعد الله عزوجل فيما وصلت إليه، إلى من كان لي عوناً في طفولتي وسنداً لي على مرّ الأيام والديا الكريمين حفظهما الله.

إلى زوج أختي "علي" الذي ساعدني في رحلة بحثي هذه منذ البداية حتى الآن حفظه الله.
إلى القلوب الطاهرة الرقيقة، والنفوس الصافية إلى من أتقاسم معهم بكاء الحياة وضحكتها رياحين حياتي إخوتي أخواتي " مريم، عبدوا، محمد، علاء، أمين "

إلى أختي و رفيقة دربي الغالية حورية.

إلى كلّ من كان صاحب الفضل عليّ و لم يبخل بدعمه و توجيهاته في رحلة بحثي هذه
أستاذي المشرف.....جعفر يايوش.

إلى الذين لا أملّ رفقتهم و صحبتهم صديقاتي

إلى كلّ من سيقراً هذا العمل المتواضع.

إلى كل أساتذة و طلبة قسم الأدب العربي عامّة و السنة الثانية ماستر خاصّة.

شكر وتقدير

أشكر الله سبحانه و تعالى على توفيقه لإتمام هذه الرسالة المتواضعة، وإطلاقاً من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "من صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم كافأتموه"

أتقدم بخالص شكري لأستاذي و مشرفي...

الدكتور جعفر يايوش .

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى كافة منتسبي جامعة عبد الحميد ابن باديس على مساعدتهم و تعاونهم و على رأسهم قسم الدراسات الأدبية المقارنة سائلة الله عزوجل أن يوفق الجميع.

مدخل : مفهوم التثاقف بين الحضارات:

لكلّ ثقافة هوية و لكلّ هوية جوهر تعبر عنه خصوصيات منفردة و تنبثق منه قيم سامية و مثل عليا ، هي عنوان الأصالة و العراقة اللتين هما القواعد الراسخة للثقافة و القواسم المشتركة بين الثقافات الإنسانية، جميعا مهما تكن سماتها و طابعها و مهما تتعدّد مصادرها و منابعها و روادها لأن الثقافة من حيث هي قيمة جوهرية أصيلة و مصدر لحركة الإبداع الإنساني في تجلياته المتنوعة . (1)

ولكل أمة ثقافة تعبّر عن كينونتها ، و تعكس طبيعتها و تسجل عطاءاتها المتراكمة عبر التاريخ الطويل فتجعل منها أمة ذات خصوصيات تميزها عن الأمم الأخرى ، وكذلك هي الثقافة في تميزها عن الثقافات السائدة سواء في الزمن الواحد أو في أزمنة متطاوله وإن كانت تأخذ عنها و تقتبس منها ، و تتلاقح معها و تندمج فيها .

وليست الثقافة العربية بمعزل عن الثقافات الأخرى ، فهي لم تكن في أي مرحلة تاريخية منعزلة و منطوية على ذاتها جامدة لا تتحرك راکدة لا تتفاعل ، عقيمة لا تؤثر أو تتأثر بل كانت منفتحة على الثقافات الشرقية والغربية .

فالثقافة إذا أردنا تعريفها هي كلمة عريقة في اللغة العربية أصلا فهي تعني صقل النفس والمنطق والفظانة وفي القاموس المحيط ثقّف ثقفا و ثقافة ، صارحاذقا خفيفا فطنا وثقفه تثقيفا سواء وهي تعني تثقيف الرمح أي تسويته وتقويمه .

واستعملت الثقافة في العصر الحديث للدلالة على الرقي الفكري و الأدبي والاجتماعي للأفراد والجماعات والثقافة ليست مجموعة من الأفكار فحسب بل هي الطابع العام الذي ينطبع به شعب من الشعوب والمقومات التي تميز أمة عن غيرها .

والمثاقفة تتحقق من خلال عملية إتصال بين ثقافة وأخرى عبر سيرورة إنتقال عناصر كلّ منها نحو الأخرى وقد استخدمت هذه الكلمة أول مرة في الأنثروبولوجية الثقافية

¹ الراجي عبد الرحيم ، مسألة التثاقف www.aljabruabed.net تاريخ الدخول 2017/02/16 على الساعة

لأمريكا الشمالية بداية مع grabner فهو أول من استعمل المفهوم سنة 1880 للدلالة على دراسة التغيرات الناتجة عن الاحتكاك بين شعبيين أو ثقافتين مختلفتين و دراسة مواطن التلاقي بين الأداب في نقاطها المختلفة وكلّ هذا يدخل ضمن حقل الأدب المقارن و الذي يعتبر فرع من فروع المعرفة، يتناول المقارنة بين أدبيين أو أكثر ينتمي كلّ منهما إلى أمة أو قومية غير الأمة أو القومية التي ينتمي إليها الأدب الأخر و هذه المقارنة قد تكون بين عنصر واحد⁽¹⁾ أو أكثر من عناصر أدب قومي ما و نظيره في العصر و غيره من الأداب القومية الأخرى بغية الوقوف على مناطق التشابه و مناطق الإختلاف بين الأداب و معرفة العوامل المسؤولة عن ذلك .

كذلك فهذه المقارنة قد يكون هدفها كشف الصلات التي بينها و إبراز تأثير أحدهما في غيره من الأداب و قد يكون هدفها الموازنة الفنية .

كما يؤكّد بعض الدّارسين المقارنين أن الأدب المقارن لا يدخل ضمن البحوث المقارنة تلك الدراسات التي تجري بين نتاجين أدبيين من قوميتين مختلفتين لا توجد بينهما صلة تاريخية أو ثقافية ، إذ يجب في رأيهم أن يكون ظاهريا لدى من يقوم بالمقارنة أن الأدب القومي واقع تحت تأثير أدب أجنبي ، إستفاد منه و إنتهج بعض أساليبه و جوانبه الفنية و أن يثبت كيفية التقاء هذين الأدبين و زمن إلتقائهما و نوعية تأثير أحدهما في الأخر .

و تأكيدهم كذلك أن أهمية الأدب المقارن لا تقف عند دراسة التيارات الفكرية والأجناس الأدبية و القضايا الإنسانية بل لا بدّ له أن يكشف عن جوانب تأثير الكاتب في الأدب القومي بالأداب العالمية و هو تأكيد في غير محلّه .

إذ أن الأدب المقارن لا ينحصر في دراسة التأثير و التأثير بين الأداب المختلفة وإن كانت بعض المدارس تشترط ذلك وهي المدرسة الفرنسية⁽²⁾.

1 بكار يوسف الادب المقارن الشركة العربية للتسويق القاهرة 2010 الطبعة الاولى ص 195

² المرجع نفسه ص199

فالأدب المقارن إذ أردنا تعريفه مكوّن من كلمتين الأدب و المقارن بفتح الراء⁽¹⁾ كلمة الأدب تعني الفكرة و قالبها الفني أو المادة و الصياغة أو الخلق و الإبداع الفني و هذان العنصران يمثلان جميع صور النتاج الأدبي سواء كان تعبير عن العواطف و الخلجات النفسية أو التجارب الأدبية أو عن دراسة جنس من الأجناس الأدبية كالقصة و الملحمة و الرواية و المقالة و الشعر، أم عن دراسة و ترجمة لعظماء التاريخ و الأدب أم عن كتب الرحلات أو دراسة الشخصيات الأدبية و المصادر .

أمّا كلمة المقارن ليس المراد منها المقارنة اللغوية فالمدلول اللغوي للأدب المقارن⁽²⁾ لايفرق بين المقارنة و الموازنة .

أما المعنى الإصطلاحي فيخص الموازنة بدراسة أوجه التشابه و الإختلاف بين أدبين لبيان الفاضل من المفضول، أما المقارنة فالمراد منها التقريب بين الوقائع المختلفة بجمع أكبر عدد ممكن منها لاستخلاص القوانين العامة التي تسيطر عليها. فالملاحظ فيها المعنى التاريخي وبذا يكون الأدب المقارن هو دراسة الأدب القومي في علاقاته التاريخية عن غيره من الآداب الخارجية في نطاق اللغة القومية التي يكتب بها⁽³⁾

ويعتبر "بول فان تيجم" أوّل من قدّم تعريفاً للأدب المقارن في كتابه الموجز في باريس سنة 1931م فيقول "إنّ العلم الذي يدرس على نحو خاص آثار الآداب المختلفة في علاقاتها المتبادلة".⁽⁴⁾

ليس المقارنة بين تاريخ الآداب العالمية هي الموازنة الأدبية، التي تعني دراسة العلاقات المتشابهة بين نصين أدبيين، متعاصرين يتفقان⁽⁵⁾ في اللغة الواحدة و الأدب الواحد كالموازنة بين أبي تمام و البحتري، فعنصر التأثير و التآثر داخل اللغة القومية الواحدة عنصر من عناصر الأدب المهمة لربط الصلات بين أدباء و شعراء الأدب الواحد في اللغة الواحدة فهو يكشف عن وجود الصلات، ودرجة التأثير و التآثر من الشعراء.

¹ محمد غنيمي هلال: مقدمة الأدب المقارن، دار العودة بيروت، 1987م ص30

² حسن جاد حسن: الأدب المقارن، دار الطباعة المحمدية، ط2، 1967، ص11

³ المرجع نفسه : محمد غنيمي هلال ص06

⁴ المرجع نفسه : حسن جاد حسن ، ص194

⁵ محمد رمضان الجبري ، علي رمضان الجبري النقد الادبي دار العودة بيروت. دت ، ص55

فابن الأندلسي تأثر بالمتبني تأثراً كبيراً حتى أطلق عليه متبني الغرب و ابن زيدون تأثر بالبحثري وتأثر الحريري ببديع الزمان، كما تأثر فولتر براسين في الأدب الفرنسي. فهذه الموازنات في حدود الأدب الواحد واللغة الواحدة بينما الأدب المقارن يتجاوز الأدب الواحد و اللغة الواحدة للمقارنة بين أدبين أو أدبيين عالميين تأثر أحدهما بالآخر ، وإنتفع به عن طريق الصلات التاريخية .

فهو الأدب الذي يوثق الصلات و يقوي العلاقات بين الآداب القومية المختلفة في اللغة لغرض التأثير و التأثر ، و الإستفادة من الآداب العالمية و العودة للأدب القومي لتفتحه و تطعيمه بالمذاهب و الأجناس الأدبية و التيارات الفكرية و القوالب الفنية ليزدهر الأدب القومي و يتطور و يلحق بالآداب العالمية الإنسانية.(1)

ومن الأدب المقارن أثر المقامات الأدبية العربية و الغزل في الأدب الفارسي و أثر "مجنون ليلي" في الغزل العربي وتحوله إلى التصوف و الرمزية في الأدب الفارسي وتأثر شوقي بالآداب الغربية في مسرحية "كليوباترا" و تأثر الأدب الروماني اللاتيني بالآداب اليوناني و تأثر الأدب العربي الحديث بالآداب الغربية الحديثة .(2)

و هذا التأثر مس جميع النواحي شكلا و مضمونا بالإضافة إلى الأجناس الأدبية و القصة و الرواية و المسرحية و الشعر و القصص و المذاهب الأدبية و غيرها .

فتوثقت الصلات بين الأدبين الأدب العربي و الغربي عن طريق الحملة الفرنسية على مصر و البعثات العلمية لأوروبا و الترجمة و الهجرة إلى أوروبا و المستشرقين

و مدارس الإرساليات و إستقدام الأساتذة من الغرب للتدريس في مصر و لبنان و فتح المدارس لتدريس اللغات و الآداب الغربية و إتقان اللغات الأجنبية للأساتذة العرب

¹ محمد عبد الرحمان شعيب ، مطبعة دار التأليف ، القاهرة ، سنة 1968م ص55
² محمد رمضان الجبري ، الأدب المقارن ، مطبعة دار الهدى فالتيا - مالطا، ص33

و إطلاعهم على الآداب الغربية لفهمها و ترجمتها إلى الأدب العربي ومن الترجمة تأثر الأدب الفارسي بترجمة كتاب " كليلة و دمنة " (1) من العربية إلى الفارسية الحديثة

و السبب في الإختلاف بين الأصل و الترجمة أدواق العصر، مثل كليلة و دمنة لابن المقفع و ترجمة أبي المعالي نصر الله له إلى الفارسية .(2)

لقد تأثرت الآداب العالمية ببعضها البعض في العصور المختلفة و تلاققت و إنتقلت ببعضها و مواطن تلاقي الآداب العالمية موضوعات خصبة للدراسات المقارنة بين الآداب العالمية المختلفة ، ولقد تأثر الأدب العربي بالأدب الأروبي في القصة و الملحمة و المسرحية و غيرها كما أثر الأدب العربي في الآداب الغربية و الأدلة تفيض بإنتفاع الآداب الغربية بالأدب العربي ، فقد تأثر الإسبانيون بالمقامات الأدبية العربية وألقوا على غرارها قصص الشطار التي تشبه المقامات الحريرية و ترجمت إلى الإسبانية و العبرية و المسيحية و إلى الآداب الغربية .(3)

و نجد الجاحظ الذي تأثر بفلاسفة اليونان و أرسطو في الخطابة و الشعر و ابن سينا و الغرابي و الغزالي و ابن رشد و حازم القرطاجني تأثروا بفلاسفة اليونان و التراث العربي و الإسلامي .

والممتنبي تأثر بالحضارة العربية و الفكر اليوناني ، كما تأثر الرومان بالملاح اليونانية

بالإضافة إلى تأثر دانتيه بالشاعر الروماني فرجيل متأثرا بقصة الإسراء و المعراج

و مصادر عربية إسلامية أهمها الفتوحات المكية لمحي الدين بن العربي.(4)

والحب العذري أثر في الفرس الذين حولوه إلى الصوفية و الرمزية كما تأثر الفرس ببناء القصيدة العربية و الوقوف على الأطلال و تعدد الأغراض و الوزن و القافية بفضل الأدب المقارن .

¹ المرجع السابق: حسن جاد، الأدب المقارن، ص35

² المرجع السابق: محمد شعيب، ص77،78

³ المرجع السابق: محمد رمضان الجبري، الأدب المقارن، ص100-128

⁴ المرجع نفسه: ص71-83

وتأثر دانتيه الإيطالي ومؤلف الكوميديا الإلهية برسالة الغفران لابي العلاء المعري في حديثه عن الجنة والنار، والإسراء والمعراج في الكوميديا الإلهية .

فرسالة الغفران لأبي العلاء رسالة فلسفية في عالم الخيال هي إنتقال من عالم الواقع الذي ضاق به ليحل مشاكله في عالم الخيال الفصيح الخصب الرائع فوصف الجنة والنار بأسلوب بليغ وفي الرسالة طرائف (1) أدبية ونقدية ولغوية، وفنية تدل على عمق الكاتب وسعة خياله والحقيقة أنه لم يتأثر بأن شهيد في رسالته التوابع والزوابع ، لأن رسالة الغفران أكثر دقة وعمقا ، وأوسع مجالا من رسالة ابن شهيد.

هذا الذي أترفي دانتيه وأعجب برسالة الغفران لابي العلاء وأخذ منها لأنه كان أصيل في رسالة ورحلته ، وخياله ، وفلسفته.

فالقصاص المترجمة أثرت في القصة العربية الحديثة ، و القصة العربية أخذت موضوعاتها من البيئة العربية والعصر الذي يعيش فيه الكاتب للإشادة بالماضي في القصاص التاريخية أو الحاضر في (2) القصاص الواقعية ، ولكنها لم تسلم من التأثير بالقصاص الغربية و الآداب الأوربية كما ذكرنا سابقا لأننا تأثرنا بالرومانتيين في القصة التاريخية والعاطفية ، ثم تأثرنا بالقصاص الإجتماعية والقومية و الواقعية والرمزية وغير ذلك لقد تلاقت القصة العربية بالقصة الغربية ، و إنتفع الأدب العربي بالقصاص الغربية كما إنتفع الأدب الغربي بالاثار العربية القديمة ، كالمقامات و رسالة الغفران التي سبق وذكرتها إضافة إلى الزوابع و التوابع . (3)

" وحي بن يقضان " والتي تشكل نظرا إلى سياق ورودها في البناء القصصي لإبن طفيل مصدر إلهام للقصة الشهيرة التي تحمل إسم بطلها روبنسون كروز (robinson crousoe و التي ألفها الروائي الإنجليزي الشهير دانييل ديفو " daniel defoe".

¹ المرجع السابق: محمد رمضان الجبري، الأدب المقارن، ص 128

² المرجع نفسه ص 131

³ المرجع نفسه ص 132

حي بن يقضان لابن طفيل :

تعد الرواية الفلسفية حي بن يقضان لابن طفيل الفيلسوف الأندلسي (502-1185-571/1110) إحدى كنوز الأدب العربي القديم.

إنها خليط من التأمل الفلسفي و الرواية القصصية قد حافظت على تميزها الأدبي

و الفكري طوال الزمن إذ تمثل رائعة من روائعه ، ونوعا من المغامرة العقلية

و إستجابة للحوار الفلسفي الدائر في زمنه حول العلاقة ما بين العقل و النقل أو ما بين الدين و الفلسفة ومدى قدرة العقل الخالص في (1) الوصول إلى الدليل القاطع و الحجة الدامغة بوجود الله جل جلاله .

وقد ترجمت القصة إلى اللاتينية و العبرية ثم الانجليزية و أثرت في الادب الإسباني وهو بدوره أثر في الأدب الأوربي ، وقد راجت قصة حي بن يقضان في أوروبا رواجاً كبيراً و القوا على منوالها و تأثر بها الكلاسيكيون و الرومنتيكيون.

و ترجمت هذه القصة إلى الفرنسية و الروسية و صادفت هوى في نفوس الأوروبيين الذين يعتقدون بأن الإنسان قادر على الإهتمام للفضائل الإنسانية .(2)

كما أكد المؤرخون أن قصة " حي بن يقضان " لابن طفيل من أكثر كتب الدنيا إنتشاراً فقد ذاع صيت هذه القصة و تلقفها الأدباء و العلماء و المفكرين في الشرق و الغرب فإنكبو على قرانيتها و البحث في معانيها وإستشراق غاياتها ،وقد أدهشهم أسلوبها الأدبي الساحر و أغرقتهم فصولها بالمعاني الفلسفية و الإشراقات الأدبية ،فكان لها شأن ينقطع نظيره في تاريخ الفكر الإنساني فهي قصة ذات مضامين فلسفية عميقة ، تناقش ما نسميه في مصطلحنا المعاصر برؤية العالم أو النموذج المعرفي حيث ابن طفيل في هذه القصة ضمن آراءه الفلسفية و القائلة بعدم التعارض بين العقل و الشريعة ، أو بين الفلسفة و الدين في قالب روائي قصصي.

¹ ابن سينا و ابن طفيل و السهرودي حي بن يقضان تعليق و تحقيق أحمد أمين ،دار الهدى للثقافة و النشر ، الطبعة الخامسة ، دمشق 2001 ص 24

² المرجع السابق : محمد رمضان الجبري ص 56

روبينسون كروز لدانييل ديفو « daniel defo » « robinson crusoe » :

وهي قصة أوربية مأخوذة عن قصة " حي بن يقضان" لابن طفيل و تحكي قصة كروز رجل إنجليزي من الطبقة الوسطى نشأ على حب المغامرات و ركوب الخيل في أول رحلة له تعرضت سفينته لعواصف خرج منها كروز بمعجزة.(1)

وقد نشر القسم الأول من القصة "روبينسون كروز" عام 1719م فلاقت شهرة واسعة مما شجعه على تنمة القصة و اكسبه من المال ما جعله يعيش بقية عمره مستريح البال .

المحامل الثقافية و الأبعاد الحضارية :

أولا المحامل الثقافية و تتمثل في الاسباب و الدوافع التي أدت كلا الأديبين ابن طفيل الاندلسي و دانييل ديفو إلى كتابة قصتهما فالأولى "حي بن يقضان" ، و الثانية " روبنسون كروز" طبعا للكاتب " دانييل ديفو" وسأطرق إلى هذه النقطة وأقف عندها وعند كلا الأديبين .

ثانيا الأبعاد الحضارية وهي الأهداف وإن صح التعبير النتائج التي توصل إليها كلا الأديبين من خلال كتابة قصتهما " حي بن يقضان" لابن طفيل و " روبنسون كروز" لدانييل ديفو .

دراسة مقارنة بين القصتين :

" حي بن يقضان" لابن طفيل " و روبينسون كروز" لدانييل ديفو:

وهي دراسة أوجه التشابه و الاختلاف بين القصتين إذ تعتبر دراسة تطبيقية اتطرق من خلالها الى ذكر أولا التسمية ثم الشخصيات في كلتا القصتين الأمكنة ، الأزمنة بالإضافة إلى جماليات السرد أيضا عند كلا الأديبين .

¹ دانييل ديفو ، روبينسون كروز ، كامل كيلاني ، مطبعة المعارف ، مصر ، ط3. دت ص25

فشخصية (حي) هي شخصية فيلسوف يتأمل الكون ليفهم أسرارها يثير أسئلة جوهرية تتعلق بالجودة الإنسانية و كيفية تواصله مع الله لذا اجتمعت لديه شخصية الفيلسوف إلى جانب المتصوف وهو يفكر في إصلاح غيره لذا برزت لديه شخصية المصلح.⁽¹⁾

في حين "روبينسون كروز" إنسانا عاديا أقصى طموحاته⁽²⁾ تلبية حاجاته المادية وعلاقة حي " بأسال" علاقة مادية إذ يتم تبادل المعرفة بينهما و يحاولان التعاون في سبيل إصلاح البشر و هدايتهم أما علاقة " روبينسون كروز" بجمعه فكانت علاقة السيد بالمسود عكس علاقة " حي " بأسال .

وسأفصل في الدراسة المقارنة في القصتين في الجانب التطبيقي .

¹ ابن طفيل "حي بن يقضان" إعداد سمير سرحان ، محمد عناني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مكتبة الأسرة القاهرة 1999، ص45-46

² دانيال "ديفو" روبينسون كروز "كامل كيلاني ، مطبعة المعارف ، مصر ، ط3 ، دت ص30

الفصل الأول : حي ابن يقضان لابن طفيل

المبحث الأول : حياة ابن الطفيل

المبحث الثاني : الكتابة القصصية الفلسفية عند ابن طفيل أسبابها و دوافعها

وأهدافها

المبحث الثالث : خصائص الكتابة القصصية الفلسفية عند ابن طفيل

المبحث الأول : حياة ابن طفيل :

ابن طفيل فيلسوف و عالم و طبيب عربي مسلم و رجل دولة وهو من أعظم المفكرين العرب الذين خلفوا الأثار الخالدة في عدة ميادين منها : الفلسفة و الأدب و الرياضيات والفلك و الطب و قد عرف عند الغرب بإسم (abubacer) وكان من وزراء الموحدين في وقت عظمتهم .⁽¹⁾

هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن محمد بن طفيل القسي الأندلسي (1100-1185م) عربي من بني قيس عيلان بن مضر و ينسب أيضا فيقال: الأندلسي

و القرطبي و الإشبيلي و يكنى بأبي جعفر هو فيلسوف و فيزيائي قاضي أندلسي ولد في واد أش ، على المسافة 53 كم في الشمال الشرقي من قرطبة ، ثم تعلم الطب في غرناطة و خدم حاكمها ، من أعظم فلاسفة الأندلس و رياضيتها و اطبائها تولى منصب الطبيب الخاص للسلطان أبي يعقوب يوسف أمير الموحدين كان معاصر لإبن رشد وقد يقال أنه لم يصل إلينا من كتبه سوى قصة "حي بن يقضان " و قد ترجم إلى عدة لغات أجنبية و هي قصة تشتمل على فلسفة ابن طفيل و قد ضمنها آراءه و نظرياته و تدور القصة حول " حي بن يقضان "الذي نشأ في جزيرة من جزر الهند ، و الأساس الفلسفي لهذه القصة هو الطريق الذي كان عليه فلاسفة المسلمين الذين نهجوا على مذهب الافلاطونية الحديثة و قد صور ابن طفيل الإنسان الذي هو رمز العقل في صورة حي بن يقضان و يقضان هو الله .

و قد رمى ابن طفيل من ورائها إلى بيان الإتفاق بين الدين و الفلسفة وهو موضوع شغل أذهان فلاسفة الإسلام .

كانت له آراء مبتكرة في علم الفلك و قد ذكر البطروجي أنه أخذ عن ابن طفيل قوله في الدوائر الداخلية في حركات الأفلاك فقد تميز ابن طفيل بالموسوعة التي شملت كثيرا من أوجه العلم و قد كان عالما و حكيما فيلسوفا ، عارفا بالمقالات و الآراء محققا متصوفا

¹ ابن الطفيل ، ويكيبيديا الموسوعة الحرة ar. wikipedia.org تاريخ الدخول: 2017/02/11 على الساعة : 12:14

طبيباً باهراً ، فقيهاً بارعاً في الأدب ناظماً مشاركاً في جملة الفنون توفي في عام 581 هـ الموافق لـ 1185م في مدينة مراکش و دفن فيها .

مؤلفاته :

كان لموسوعة ابن طفيل بصمة خاصة على مؤلفاته ، فإستطاع بموهبته في الشعر أن يصوغ خبرته الطبية في قصيدة بلغت أكثر من سبعة آلاف و سبعمائة بيت و هي مازالت مخطوطة و موجودة في مكتبة القرويين بفاس برقم (3158) ومن مؤلفاته في الطب فقد ذكر لسان الدين بن الخطيب أنه ألف في الطب مجلدين ، كما ذكر ابن الخطيب أن له أرجوزة في الطب .

وله مؤلفات في الفلك أشار ابن رشد إلى أحدهما في شرحه الأوسط على كتاب الأثر العلوية "لأرسطو طاليس" و يشير ابن طفيل البطروجي إلى هذه أيضاً في مقدمة كتابه في الفلك.

أما آثاره الفلسفية فلم يبق منها غير كتاب واحد وهو " حي بن يقضان" و إن كان عبد الواحد المراكشي يذكر أن له رسالة في النفس رأها بخط يده هذه الرسالة فقدت ، ثم أن جوتيه شيك في رواية المراكشي .

زاعماً أنه إختلط عليه الأمر بين رسالة حي بن يقضان و بين ما ادعى أنه رسالة في النفس و هي في الحقيقة حي بن يقضان ، فقال "فمن رسائله رسالة سماها حي بن يقضان غرضه فيها بيان مبدأ النوع الإنساني على مذهبهم ، و هي رسالة لطيفة الجرم كبيرة الفائدة في ذلك الفن" (1)

ثم إن المراكشي ربما رأى الرسالة في النفس التي بخط المؤلف لدى ابنه الذي كان يعرفه معرفة جيدة ولا بد أن يكون ابنه يحى هذا هو الذي دله على هذه الرسالة ولا يمكن أن يخطئ الابن فلا يميزها من رسالة (حي بن يقضان).

¹ الموقع السابق

فابن طفيل قد أعاد كتابة قصة "حي بن يقضان" و لكن قصته كانت مختلفة عن قصة ابن سينا و الأمر الوحيد الذي أخذه من قصة ابن سينا⁽¹⁾ هو أسماء الشخصيات ، و قصة ابن طفيل ماهي إلا توسيع و تطوير لقصة المتوحد التي كتبها ابن باجة⁽²⁾

فابن طفيل من خلال تجربته الفلسفية و آراءه ، حاول في كتابه " حي بن يقضان" التوفيق الفلسفي بين المعرفة العقلية و المعرفة الدينية .

أما الآثار التي يبدو أن ابن طفيل كتبها و لكنها لم تصل إلينا رسالته الطبية مع ابن رشد و التي يذكرها ابن أبي أصيبعة⁽³⁾، اما ليون غوتيه فينزع في دراسته عن ابن طفيل إلى القول إن المؤلف الطبي الذي أشار إليه ابن الخطيب و المراسلات التي ذكرها ابن أبي أصيبعة في الحقيقة ص 40 من الكتاب مؤلف واحد وهو أمر أصبح مستبعدا بعد إكتشاف الأرجوزة فيبقى إذا لابن طفيل كتابات أخرى في الطب ، لازالت مجهولة .

كذلك لابن طفيل كتابات في الفلك ، يبدو أنها لا تزال مجهولة و خاصة ما كتبه عن المواضع المسكونة من الأرض ، كما أكد ذلك ابن رشد .

فابن طفيل كان رجل علم ورجل سياسة ولا نعرف الكثير عن حياته العلمية ، ولا عن حياته السياسية سوى شذرات لا تغني كثيرا في هذا المجال ، و ما يجدر الإشارة إليه انه لم يكن غريبا عن ثقافة عصره بكل أشكالها و أنواعها ،قد درس الفقه و الأدب و الفلسفة و غير ذلك من العلوم التي أهلته لوظائف في الدولة الموحدية .

ملخص الرواية :

تقول الرواية أن حي بن يقضان ولد في جزيرة نائية من جزر الهند ،تحت خط الإستواء وأنه اختلف في تكوينه فقيل أنه تولد دون أب وأم ، من طينة تخمرت بالجزيرة على مر السنين وقيل أنه ابن أميرة جميلة⁽⁴⁾ كانت شقيقة لملك يمتلئ بالأنفة والغيرة منعها من

¹ عبد الرحمان بدوي (حي بن يقضان)، الهيئة المصرية العامة للكتاب

² ويكيبيديا الموسوعة: www.wikipedia.com. تاريخ الدخول: 2017/01/03 الساعة: 12:13

³ الأنباء الجزء الثالث ،دار الثقافة بيروت ط3،،1981ص126

⁴ ملخص رواية حي بن يقضان : <http://www.dorar.net> تاريخ الدخول 2017/01/04 على: 12:13

الزواج بحجة أنه لا يجد لها زوجا كفوًا ، وكان لهذه الفتاة قريب اسمه "يقضان" وهو كريم النفس طيب الأخلاق.

فلما غاب الملك في بعض حروبه وطالت غيبته حسبه أهله قد مات ، أو قتل في تلك الحروب فزوجوا يقضان تلك الفتاة سرا، وبعد أشهر قليلة حملت منه ثم وضعت طفلا تلوح عليه مخايل الذكاء ودلائل النبيل وما ان وضعت الفتاة طفلها حتى عاد أخوها من حروبه منتصرا ولم يجرؤ أحد من أقارب الملك على إعلامه ، وإخباره بسر الزواج الذي تم في غيبته خوفا من غضبه عليهم وإنتقامه منهم .

وخشيت الفتاة أن يذيع سرها فيقتلها أخوها ، فوضعت ابنها الذي لا يزال صغيرا في تابوت ثم قذفت به في اليم .

الذي حمله الى ساحل جزيرة أخرى وكانت مسامير التابوت قد إنتزعت ، فلما إشتد الجوع بذلك الطفل بكى و إستغاث فخرجت ظبية تبحث عن ولدها، فلما سمعت صراخ الطفل ظنته ابنها المفقود ، فتبعت الصوت حتى وصلت إلى التابوت حيث أرضعته وعطفت عليه فأخذته وربته وعندما (1) كبر بدأ يتخذ من أوراق الشجر ملابس لأنه رأى مايغطي الحيوانات من الريش والوبر .

ثم ضعفت الظبية التي ربته وأدركها الموت ، فسكنت حركاتها وظن أن المرض الذي أصاب أمه كان كامنا في صدرها فهداه تفكيره إلى شق صدرها بحجرحاد فكشف القلب الذي فيه مركز الحياة ثم تحركت في نفسه الشهوة للبحث عن سائر أعضاء الحيوان وإقتنع بأن لكل موجود علة فاعلة كان حي يلاحظ و يجوب ويتأمل نافذا إلى كل المعارف من خلال فكر مبصر، وما إن وصل إلى سن الثلاثين حتى يحيط بالطبيعة من حوله وحتى يستغلها لغذائه ولكل حاجته بدأ بتحريك يديه ، وإستخدمها في إنضاج السمك و اللحم .

¹ الموقع السابق: ملخص رواية حي بن يقضان

وينتبه إلى الفرق الذي يكمن بين النبات والحيوان، في الحركة وارتفاع الهواء واللهيب إلى الأعلى وانحدار الماء إلى الأسفل ولاحظ أن كل ما في الطبيعة خاضع لقانون الكون و الفساد و عرف أرفع حقائق الطبيعية.

و تأخذ معارف حي في التطور السريع المتقدم فيدرس المعادن والنبات وأعضاء الحيوان ووظائفها ويضيفها إلى أجناس وأنواع وتقوده دراسته إلى فكرة النفس الحيوانية، والنفس النباتية وتتطور معارف "حي" بأن لكل موجود علة فاعلة.

وأخذ يبحث عن هذه العلة فحاول أن يبحث عنها في الأجرام السماوية وعن طريق تلك الأجرام الظاهرة أخذ يتأمل السماء نفسها ، وهل هي ممتدة إلى مالا نهاية ثم لم يلبث أن تصورها كروية وإستخرج من خلال تجربته ضرورة وجود أفلاك خاصة بالكواكب .

وطال به التأمل في ملكوث السموات والأرض ، وهداه تفكيره إلى أن كل مافي الوجود لا بد له من خالق لا يستغني عنه وأحس حاجته إلى مشاهدته ، ثم عندما تعدى الخمسين من العمر قابل صدفة رجل يدعى (أسال) كان من جزيرة أخرى أهلها متدينين وكان قد قرر أن يعتزل ويتنسك واختار هذه الجزيرة ، فلما وقع بصركل واحد منهما على الآخر جرى (أسال) خوفا منه وكان "حي" لم يرا إنسانا من قبل ، فلحقه لما كان له في طباعه من البحث عن حقائق الأشياء⁽¹⁾، ثم راقب "أسال" ووجده غارقا في الصلاة والقراءة والدعاء و البكاء والابتهال إلى الله والتذلل له ،حتى شغله ذلك عن كل شيء فجعل "حي بن يقضان" يقترب منه قليلا و "أسال" لا يشعر به دنا منه ليسمع قراءته ، فسمع صوتا حنيئا وحروفا منظمة ، لم يسمع مثلها من قبل و نظر إلى أشكال هذا الحي الغريب و تخطيطه قرأه على صورته و تبين له أن الثياب التي عليه ليست جلدا طبيعيا و إنما هي لباس متخذ مثل لباسه هوثم تعارفوا وبدا " أسال " يعلمه الكلام و الفرائض و أمور كثيرة وعاد به إلى جزيرته فراقب الناس عن قرب وعلم ما بهم من خير وشر فلما فهم "ابن يقضان" أحوال الناس ، أدرك أن أكثرهم بمنزل الحيوان غير الناطق وعاد هو و صديقه "أسال" إلى الجزيرة و بقيا يتعبدان إلى أن ماتا .

¹ الموقع السابق: ملخص رواية حي بن يقضان

المبحث الثاني : الكتابة القصصية الفلسفية عند ابن طفيل

أسبابها و دوافعها و أهدافها :

تعتبر قصة حي بن يقضان من روائع القصص الفلسفية الإسلامية حيث تمزج سرد الأحداث بالأراء الفلسفية في قالب قصصي شائق يجعل أعقد المسائل الفلسفية تصل لعقل قارئها في أبسط صورة و أوضح عبارة دون ملل أو كلال.

و أصل قصة حي بن يقضان هي قصة " أبسال و سلامان " و لكن المحتوى نفسه مختلف تماما عند الفلاسفة الأربعة الذين تناولوا قصة " حي بن يقضان " .

فأول من كتب عن قصة " حي بن يقضان " هو ابن سينا (428هـ)، و تلاه ابن طفيل (581هـ)، ثم السهرودي (587هـ) الذي أطلق على قصته إسم " الغريبة الغريبة"

و أخيرا ابن النفيس (687هـ) الذي غير إسم "حي بن يقضان" إلى " فاضل بن ناطق " و اطلق على قصته إسم الرسالة الكاملة (1).

على أن أشهر مؤلف من بين هؤلاء الأربعة هو "ابن طفيل " فقصة " حي بن يقضان " عنده أكمل من هؤلاء الأربعة و أنضجها و أطولها و أكثرها إستيعابا لذلك فقد حازت هي خاصة إهتمام الفلاسفة شرقا و غربا و تُرجمت للغات عديدة و عندما يُذكر "حي بن يقضان" فأول من يتبادر إلى الذهن هو ابن طفيل .

¹ محمد التونجي : الأداب المقارنة دار الجبل بيروت الطبعة الأولى سنة 1416-1995 ص 188

1/ الكتابة القصصية عند ابن طفيل :

إنّ ما يميز قصّة "حي بن يقضان" التي كتبها الأديب و الطبيب و الفيلسوف الأندلسي أبو بكر محمد بن طفيل هو : الفرادة في إعتقاد الفكرة ، الإبتكار في البناء الفني و البراعة في المعالجة و الفعالية في الإيحاء⁽¹⁾.

لقد عرض ابن طفيل في هذه القصة سيرة المعرفة الإنسانية عبر سيرة " حي بن يقضان" و كيف تمكن بفطرته الفائقة من الإرتقاء بالمعرفة من الحواس، و من التجربة إلى المعرفة .

إذ تمثل إحدى كلاسيكيات الأدب العربي القديم و رائعة من روائعه جمع فيها ابن طفيل بين الفلسفة و الأدب و الدين و التربية فهي قصة ذات مضامين فلسفية عميقة تناقش ما نسميه في مصطلحنا المعاصر برؤية العالم أو النموذج المعرفي حيث تتضمن القصة عناصر الثقل المعرفي الأساسي و المتمثلة في الإله الإنسان و الطبيعة كما تطرق إلى أبعاد العلاقة بين هذه العناصر.

فهي تحكي قصة إنسان إستقر به الحال وهو بعدُ طفل على الأرض لا إنسان فيها فاتخذ من الحيوان مرضعا له والطبيعة مأوى له و إفتقرش الأرض و إلتحف السّماء و لمّا كبر و إشتدّ عوده و نضج فكره إنصرف إلى التأمّل في الكون، وهو الأمر الذي قاده إلى حتمية وجود خالق لهذا الكون .

فقبل الغوص في غمار القصة و ما تحويه من أفكار و آراء فلسفية لابدّ من الإشارة إلى العنوان وما يشتمله من معنى يلتبس في فهمه "فحي" هنا لا تعني المعنى المتداول حاليا وهي التجمع السكني في مكان ما إنّما هي الإسم الأوّل للشخصية التي تدور حولها أحداث عمل الأدب الفلسفي الذي يقدمه ابن طفيل في شكل رواية فنتازية إن صحّ التعبير.

1 أنور أبو جندورة : الأبعاد الفلسفية في قصة حي بن يقضان لابن طفيل www.diwanalarab.com تاريخ الدخول: 2017/01/04 على الساعة: 14:23 .

و بالرغم من هذه الجزئية المبتكرة في القصة إلى أنها، لا تخلوا من رسالة فلسفية قويّة و عميقة بل من أقوى الرّسائل التي ذكر فيها ما يخصّ علاقة الدين بالفلسفة و الإختلاف في الرأي و طرق معالجته و التّأويل و التعمق مقابل العمل بالظاهر، كلّ تلك المسائل تتعرض لها القصة و توضّحها من خلال عمل روائي جميل و سلس .

ولم يكن إختيار ابن طفيل " حي بن يقضان " كعنوان لقصّته من باب الإعتباط إذ يذكر محمد نبيل الشيمي أنّه إسم يدلّ على عمق معرفي لديه فكلمة "حي" تعني عائش أو على قيد الحياة أمّا كلمة " يقضان " فتعني منتبه، ولها بعد فلسفي بحسب الباحث في ذكر ابن طفيل الذي قرّر أن الإنسان يمتلك القدرة بما يملكه من عقل، على إدراك أسس الفضائل

و الأخلاق و إخضاع الشهوات الجسدية لحكم العقل دون إهمال الغرائز الطبيعية . (1)

لقد أودع ابن طفيل أفكاره التربوية ، و خلاصة تصوّراته الفلسفية في عمله المشهور

" حي بن يقضان " الذي طبقت شهرته الآفاق في عالمي الفلسفة و الأدب ، و قد وصف كتابه هذا بأنّه قصة في فلسفة و فلسفة في قصة، حيث كتبت بأسلوب أدبي ساحر و أخذ و التي تشكل "رائعة أدبية فذة تأخذ مكانها بين أروع إبداعات الأدب العالمي "

و يصف عبد الكريم اليافي هذه الرائعة بأنها " لؤلؤة من أجمل لآلي الفكر العربي الإسلامي " إذ تمثل نوعا من المغامرة العقلية لابن طفيل و إستجابة للحوار الفلسفي الدائر في زمنه حول العلاقة ما بين العقل و النقل أم ما بين الدين و الفلسفة .

و مدى قدرة العقل الخالص في الوصول إلى الدليل القاطع و الحجّة الدامغة بوجود الله جلّ جلاله . (2)

بعض النقاد يرجع الأصل القصصي " لحي بن يقضان " إلى أسطورة يونانية قديمة و إلى عهد الإسكندر المقدوني تحديدا، ومهما يكن أمر الأصل في هذه القصة فإنّ النقاد

¹ حي بن يقضان لابن طفيل www.thewhatnews.net/post تاريخ الدخول 24/12/2016 على الساعة 16:14

² ابن سينا و ابن طفيل و السهرودي " حي بن يقضان " تعليق و تحقيق أحمد أمين دار الهدى للثقافة و النشر دمشق ط5 2001.5 ص55

و المؤرخين يؤكدون أنّ " ابن طفيل" هو مبتكر هذا الأسلوب القصصي البديع.
 و هذا ما يؤكدُهُ الفرنسي "غوته" مترجم هذه القصة إلى الفرنسية و ليس غريبا أن يكون
 ابن سينا قد كتب قصة تحمل الاسم نفسه .
 باحثا فيها عن طبيعة الصراع بين العقل و الشهوة، إضافة إلى السهرودي في قصته أيضا
 محاولا منه البحث عن قضية الصراع الوجودي بين الشهوات ووصول الإنسان إلى حالة
 الكشف و الإتصال بعد تحرّره من ضغط الشهوة و إكراهات الميول المادية .
 وهذا كلّه يعني أنّ هذا العنوان قد تصدر مجموعة من الأعمال التي تختلف مضامينها
 باختلاف العصور و إختلاف الغايات.

ورأينا كيف أن ابن طفيل عرض أراءه الفلسفية بقالب قصصي ويرى "غارسيه
 غومس" أنّ الهيكل العام لهذه القصة مقتبس عن قصة " الصنم و الملك و ابنته" وهي
 إحدى الأساطير التي نسخت حول شخصية الإسكندر الأكبر، ويعتقد أحمد أمين أنّها كانت
 معروفة عند أهل الأندلس، فتناولها " ابن طفيل " وصاغها بقالب قصصي رمزي .⁽¹⁾
 ويقول غارسيه غومس : " وجد ابن طفيل في هذه الفكرة الأدبية ذات الحيوية المتصلة
 والتي تبدو حقيقية و إن كانت من نسج الخيال السبيل إلى عرض نظرية الفكر المتوحد
 و نظريات فلسفية أخرى " .

و قد وجد ابن طفيل فيها كذلك وسيلة تتفق مع تفكيره إتفاقا بديعا بل ضمت هذه الحكاية
 نقطة ظاهرة إستطاع ابن طفيل أن يفرغ فيها أفكاره ، و من هنا نتج هذا التأليف الجميل
 بين قصة شائعة و بين الأفكار الفلسفية ، و إستطاع ابن طفيل بأسلوبه العذب الذي⁽²⁾
 يفيض إبتكارا و منطقا و قوة شاعرية أن يخلف منها أثرا من أعظم العصور الوسطى.

¹ محمد التونجي: الأداب المقارنة، دار الجيل بيروت الطبعة الأولى سنة 1416 -1995 ص 186
² المرجع السابق: ابن سينا ابن طفيل و السهرودي " حي بن يقضان" ص 57

فحي بن يقضان عند ابن طفيل يتصل بالعقل لكن على نمط آخر فهو رسالة بناها على نظرية له وهي أن في وسع الإنسان أن يرتقي بنفسه من المحسوس إلى المعقول إلى الله بحيث يستطيع بعقله أن يصل إلى معرفة العالم و معرفة الله ، و عنده أنّ المعرفة تنقسم إلى قسمين : معرفة حدسية و معرفة نظرية . (1)

أو بعبارة أخرى معرفة مبنية على الكشف و الإلهام كالتى عند الصوفية ، و معرفة مبنية على المنطق كالتى عند العلماء .

أما الأولى فيمكن الوصول إليها برياضة النفس فتتكشف لها الحقائق كأنها نور واضح لذيد يومضُ إليه حيناً ثم يخبو حيناً، وكلّمًا أمعن الإنسان في الرياضة تجلّت له المعارف و أمّا النوع الثاني من المعرفة فهو مؤسس على الحواس و المعرفة بالحواس تتألف و تتركب وتستنتج منها نتائج علمية هي أيضا نوع من المعرف التي يسميها المعرفة النظرية.

وقد جعل ابن طفيل " حي بن يقضان " يسلك هذين الطريقين فتارة يصل إلى معرفة الأشياء بحواسه و مركباتها (2) و تارة يصل إليها بطريق الكشف .

لقد كتب ابن طفيل قصّة " حي بن يقضان " ليشرح لنا مراحل التطور الطبيعي للإنسان في حالة محضة و يبيّن لنا علاقة الفرد بالجماعة بصورة حية واضحة جلية.

فانتخب في سبيل هذه الغاية مسرحا لقصته جزيرتين : في إحداها ترى الجمعية البشرية بتقاليدها و عاداتها المتوارثة، و في الثانية الإنسان المحض في تطوره الطبيعي مجردا عن تأثير الإجتماع .

¹ المرجع السابق، محمد التونجي الاداب المقارنة ص 17

² ماجدة حمود مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن ، دراسة منشورات إتحاد الكتاب العرب ،دمشق سوريا 2000

وقد حرص ابن طفيل على أن لا تكون هناك أية صلة ، مهما كانت ضئيلة لذا جعله يبدأ حياته منذ الولادة في جزيرة خالية لا أثر للإنسان فيها . (1)

و يمكن أن يكون ابن طفيل قد قصد أيضا تمثيل أول ظهور للإنسان على وجه الأرض بعد أن لم يكن موجودا ، فإنتخب لذلك " جزيرة من جزائر الهند التي تحت خط الإستواء حيث يتولد الإنسان من غير أمّ ولا أبّ لأن تلك الجزيرة أعدل بقاع الأرض هواء وأتمها لشروق النور الأعلى عليها إستعدادا " . (2)

وبعد بحث طويل عن كيفية تأثير أشعة الشمس، وعن تخمر الطينة الصالحة على مرّ السنين و الأعوام و إمتزاج القوى و تعادلها و تكافئها أتى ابن طفيل شاهدا على صحة ما ذكر من تجويز التولد الذاتي الطبيعي .

نراه يقصّ علينا وجها آخر عن نشأة حي بن يقضان لإسكات من أنكر جواز تولد الإنسان من غير أب ولا أمّ : فإفترض أنّه ولد في جزيرة مجاورة لجزيرته من أخت الملك التي خافت من أخيها فدففته في اليم ، و جرفه المدّ إلى الجزيرة الثانية حيث إنتظته ظبية كانت فقدت طفلها فحنت عليه وأقمته حلمتها و أروته لبنا سائغا .

ثم ينتقل ابن طفيل إلى وصف تربية الطفل وتعهّد الظبية له فكان وصفه يفوق كلّ ما نعرفه بالدقة وشدّة الملاحظة وسعة الإختبار ، فهو لم يترك شاردة ولا واردة إلا أتى بها فشرح محاكاة الطفل لأصوات الحيوانات في الاستصراخ و الإستئلاف والإستدعاء

و الإستدفاع وقد أوضح عمل الحواس وإتصال الأعضاء الظاهرة بالأعضاء الباطنة ووظيفة القلب في جسم الحيوان . (3)

¹ ابن طفيل الاندلسي "حي بن يقضان" مكتبة النشر العربي ،دمشق سوريا ، الطبعة الأولى سنة 1935، 1904 ص23

² ابن سينا و ابن الطفيل و السهرودي ، "حي بن يقضان" تعليق وتحقيق أحمد أمين ،دار الهدى للثقافة و النشر ، ط1 سنة 1946.2005م ص54

³ المرجع نفسه ص29

وبعد ذلك تكلم عن إكتشاف حي بن يقضان للنار و بإنقاذها في أجمة قصب على سبيل المحاكاة .

و هكذا مازال حي بن يقضان يتقدم حتى إستطاع أن يؤمن حياته المادية كما توصل بالملاحظة و التفكير إلى معرفة أسرار الطبيعة و الأفلاك و إلى إدراك وجود الإله .

و كان يتقدم في المعرفة و السيطرة على الطبيعة بصورة تدريجية حسب مراحل معينة جعل ابن طفيل مدّة كل واحدة منها سبع سنوات ، حتى توصل بعد المرحلة السابعة إلى أسى ما يمكن أن يصل إليه العقل وهو الكشف الباطني لإدراك القوة الإلهية إذ تحصل المشاهدة الصرفية والإستغراق المحض الذي لا إلتفات فيه وجه من الوجود الإلهي الموجود الواجب الوجود .

والذي يشاهد المشاهدة قد غابت عنه ذات نفسه و فنيت و تلاشت و كذلك سائر الذوات كثيرة أو قليلة إلا ذات الواحد الحق .

و هنا يفرض ابن طفيل في ذكر الأعمال و التمارين الصوفية و ضرب التشبيهات

و أنواع المجاهدات التي تقوم عليها طريقة الحكمة المشرقية في إدراك حقيقة الوجود

و الإرتقاء في مشاهدة الأفلاك و الذوات الإلهية .⁽¹⁾

في هذه الحالة وصل من الجزيرة المجاورة الحكيم أسال الذي كان قد تعلق بطلب العزلة خلافا لصاحبه سلامان الذي تعلق بملازمة الجماعة حتى أدى الإختلاف بينهما إلى الإفتراق .

و عقب تلاقي حي بن يقضان مع أسال و حصول التفاهم بينهما بعد صعوبات كثيرة لعدم معرفة حي اللغة و ضرورة صرفه زمنا لتعليمها ظهر للإثنين أن فلسفة أحدهما لا تختلف في حقيقتها عن ديانة الآخر .⁽²⁾

¹ المرجع السابق: ابن سينا و ابن طفيل و السهرودي ص69

² المرجع السابق ، ابن طفيل الاندلسي حي بن يقضان ص31 .32

ولقد صمّم حي بن يقضان الذهاب إلى الجزيرة المجاورة ليكشف أهلها عن وجه الحقيقة و لكنّه لم يبدأ في مخالطة الناس و دعوتهم إلى الحقّ مدّة قصيرة حتى تحقق لديه أن جمهورهم بعيد عن فهم الحقيقة الخالصة، و رأى أنّه قد أخطأ في ظنّه بأنّ الناس كلّهم ذو فطر فائقة، و أذهان ثاقبة و نفوس حازمة لأنّه لم يكن يدري ماهم عليه من البلادة و النقص و سوء الرأي و ضعف العزم .

وتصفّح طبقات النّاس فرأى كل حزب بما لديهم فرحون، قد إتخذوا إلههم هواهم و معبودهم شهواتهم و تهالكوا في جمع حطام الدنيا ،عند ذلك أدرك حي بن يقضان السبب في إتجاه الرّسل إلى الرموز و الأمثال لتقريب الحقيقة إلى أذهان الجماهير وإقنتع بأنه لاسبيل إلى الإصلاح و قرّر الرجوع مع أسال إلى جزيرته الخالية .⁽¹⁾

هذه قصّة حي بن يقضان و هي كما نرى تشتمل على قسمين قد خصّص ابن طفيل القسم الأوّل الأكبر لوصف تطوّر حي بن يقضان الطّبيعي أمّا القسم الثّاني الذي يصف فيه ابن طفيل ذهاب حي بن يقضان إلى الجزيرة المجاورة، و إقامته بين سكانها فإنه ليس سوى وسيلة للنقد الإجتماعي من طرف خفي ،فقد أراد ابن طفيل بذلك شرح أحوال عصره الإجتماعية و بيان فساد الأنظمة و انحطاط الأخلاق و تفسخ العقائد الدينية .⁽²⁾

الخلفيات الفكرية لقصة ابن طفيل الفلسفية :

يبين ابن طفيل أنّ الدافع الذي ألهمه لكتابة هذه القصّة سؤال أثاره أحد المهتمين بقضايا الخلق والنشوء و الإرتقاء الذي طلب منه وضع إجابة عن سؤال يتمحور حول أصل المعرفة الإنسانية ،وقد قدر لهذا السؤال أن يفجر عبقرية ابن طفيل و أن ينهض بإشراقاته الفلسفية و حدوسه الإنسانية، قدّ تجلت في إبداعه العبقرية لهذه القصة التي شكّلت إجابة حية عن تساؤلات السائل و تلبية لفضول العالم في ميدان النشوء و الإرتقاء و تكون المعرفة .

¹ المرجع السابق، ابن سينا و ابن طفيل و السهرودي ص33

² طه ندا ، الأدب المقارن ،دار المعرفة. الجامعة الإسلامية مصر ، 1987 ص20

ويصف "ابن طفيل" الحالة الإشراقية التي إعتزته، وهو يتأمل في هذا السؤال بقوله: "وإنتهى بي السؤال إلى مبلغ من الغرابة بحيث لا يصفه إنسان ولا يقوم له بيان (.....) غير أن تلك الحال لما لها من البهجة و السرور و اللذة و الحبور لا يستطيع من وصل إليها وإنتهى إلى حد من حدودها أن يكتم أمرها و يخفي سرها بل يعتريه من الطرب و النشاط و المرح و الإنبساط ما يحمله على البوح بها مجملة دون تفصيل وإن كان ممن لم تحذقه العلوم قال فيها بغير تحصل" (1)

لقد أراد ابن طفيل لهذه القصة أن تكون أفضل وسيلة يمكنه فيها أن يصل إلى عقول العامة من الناس و أن يتقف الفئات الإجتماعية في عصره ثقافة فلسفية تتميز بالدقة و الأصالة عبر حكاية فلسفية مشوقة و جذابة .

إنّ في قصة "حي" نوع من التحدي و الرهان الكبير حول قدرة الفيلسوف على مخاطبة الناس عامتهم قبل خاصتهم، و لا غبار على ذلك فإنّ العامة كانوا يعانون من نظرة دونية عبثية مصدرها أهل الفلسفة و العلم و لذلك فإنّ الفلاسفة كانوا يكتبون أفكارهم بلغة معقدة مركبة تفوق إمكانيات العامة و قدراتها و من هنا يأتي رهان ابن طفيل الذي حاول أن يؤصل الفلسفة في العقل العام و أن يدعوا الجماهير المشاركة في الموقف الفلسفي و في الصراع الدائر بين الفلاسفة في عصره حول طبيعة الحقيقة فابن طفيل في رائعته هذه يضع العامة أمام قدر التنوير و يحاول أن يخرجها من قوقعة الحصار الذي كان يفرضه الفلاسفة على عقل الناس من غير أهل الإختصاص(2) و من هنا نرى أن "ابن طفيل" كان منورا جماهريا و كان يدرك أنّ تقدم الأمة لا يكون إلا بتقدم العقل العام و من هنا إجتهد في تقديم الحقيقة في قالب قصصي فيه جمال و روعة و جذب و تشويق و إثارة . (3)

¹ ابن طفيل الأندلسي، حي بن يقضان، تقديم و تحقيق فاروق سعد بيروت ص106

² المرجع السابق: ابن سينا و ابن الطفيل و السهرودي ص115

³ نجم عبد الله كاظم، في الأدب المقارن مقدمات للتطبيق عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع، إربد الاردن ط1 سنة 1439هـ-2007م ص 28

2/الجانب الفلسفي في قصة "حي بن يقضان":

إستخدم ابن طفيل الرموز و الأساطير في إبداع رائعته الأدبية "حي بن يقضان" وهو يضع فرضيتين رمزيتين لأصل حي بن يقضان وولادته، و إستقراره في جزيرة من جزر الهند.

في الإفتراض الأول يرى ابن طفيل أنّ حي تولد من الطين بلا أمّ ولا أب و في الإفتراض الثاني يرى أن حي هو طفل غير شرعي لأبوين في جزيرة قريبة تزوجا دون علم الملك فوضعا "حي" عند ولادته في قارب صغير إستقر على ضفاف الجزيرة فتلقفته غزالة كانت قد فقدت ولدها فأغدقت عليه عطفها و حنانها (1)

ويمضي ابن طفيل مع الإفتراض الثاني حيث عاش "حي" و ترعرع في الجزيرة بين الطيور و الحيوانات و بدأ يكتشف نفسه و العالم الذي حوله عن طريق التأمل و التفكير و سرعان ما بدأ يطرح الأسئلة الفلسفية الكبرى التي تتعلق بالمعقولات وبأصل الوجود

و في غمرة تأملاته العقلية، و إستغراقه الكامل في النظر و التفكير لاح له العالم الروحاني بصوره التي لاتدرك الحسّ بل تقبل ذلك بالنظر العقلي و الحدس و إستطاع حي بمحض فطرته إكتشاف العلاقة بين العلة و المعلول و الفاعل و المفعول بين الوجود و واجب الوجود و برهن على أنّ الكون واحد في الحقيقة وأن هذه الوحدة ناجمة عن وحدة الخالق ووحدة التكوين و بدأ عقله يتساءل في ماهية الخلق و الخالق و قدم الخلق

و حدثانه وراح يتساءل هل هو شيء حدث بعد أن لم يكن أم أنّه خرج إلى الوجود بعد العدم؟ أم أنّه كان موجودا ولم يسبقه العدم؟

و لقد تبين له بالحجة العقلية الدامغة أنّ لكل حركة محرّك و لكل مخلوق خالق وأن الخالق هو ربّ العزة خالق الخلق، و باعث الرزق وهو الله ربّ العالمين سبحانه وتعالى جلّ جلاله .

¹ إبراهيم بن عبد الله بورشاشن، مع ابن طفيل في تجربته الفلسفية مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الاولى 1431هـ-2010م ص137

وإكتشف بعين العقل وحكمة النظر أنّ الخالق روح مطلق و نور محض خالص و ذهب به التأمل و أخذته الفطنة الربّانية إلى القول بحدوث العالم بعد أن لم يكن، وأن الله أخرجه إلى الوجود و أنّه هو القديم الأزل الذي لم يزل .⁽¹⁾

هذا يعني ان ابن طفيل قد إكتشف عظمة الخالق ووحدايته و عظمته و حدوث العالم و صيرورة الوجود ونزعه الله عزوجل عن الصورة و الصور ووحده.

و الكشف عن طبيعة خلقه بمحض التفكير و التأمل و العقل الذي وهبه الله سبحانه وتعالى للإنسان فالعقل يكتشف الحقيقة منفردا و تصفو له المعقولات بعيدا عن النص و الرسائل و الوحي .⁽²⁾

و هذا يعني أن الله و هب الإنسان عقلا و أن عقل الإنسان قادر على الكشف، و لاتناقض هنا ما بين الحقيقة الدينية و الحقيقة الإيمانية، وأن الدين و العقل يتكاملان في الكشف عن الله و عن خلق الوجود.

وهنا يريد ابن طفيل أن يعيد الإعتبار للفلسفة و العقل، في ظل الصّراع بين العقل و النقل و الفلسفة و الدّين .

و بعبارة أخرى يريد المصالحة بين الدين و الفلسفة و العقل و الإيمان و يريد أن يحقق التوافق بينهما في ردّ مستمر يتسم بعبقورية الإجابة عن سؤال العقل و الإيمان.

و عندما بلغ حي بن يقضان الخمسين من العمر يأتي إلى الجزيرة رجلا ن هما: أسال و سلامان، و هما من أهل ملة الإيمان .

فأمّا الأوّل فهو من أهل الباطن و أما الثاني فمن أهل الظاهر و قد حدّث أسال (حي بن يقضان) عن العلم و الشريعة بعد أن علّمه الكلام، فوجد "حي" في الشريعة ما إهتدى

¹ المرجع السابق، إبراهيم بن عبد الله بورشاشن ص115

² المرجع نفسه ص116

إليه بالفطرة بعد نقاش فلسفي شامل و عميق، و هكذا حقق ابن طفيل هذه المصالحة التي كان ينشدها في الأصل بين الفلسفة و الدين و بين العقل و النقل .

فقد حظيت رائعة "ابن طفيل" باهتمام كبير في أوروبا و العالم و تقاطرت عليها الدراسات الفلسفية و التربوية و الأدبية و قد بينت هذه الدراسات النقدية أن الأحداث الدرامية في قصة حي موجهة بوضوح تام لخدمة هدف فلسفي شغل به العصر الذي عاش فيه "ابن طفيل" إذ لم يكن قادرا في قصته هذه على التحرر من سلطة مذهبه الفلسفي لأنه يعرف الهدف الذي يمضي إليه و يدرك الحقيقة الفلسفية التي يسعى إليها (1)

وهو من أجل التوفيق بين ينبوعي المعرفة المتمثلين في الفلسفة و الوحي يستقدم في قصته رجلين من خارج الجزيرة هما اسال و سلامان حيث يمثل أحدهما رمز للتعلم الروحي الغواص على المعاني و ثانيهما رمزا للمذهب الظاهري الذي لا يحب التأويل

و الغاية من هذا الحوار المصالحة بين الفلسفة العقلية و بين النصوص الدينية(2) ويتضح أن "ابن طفيل" كان في دائرة هذه العلاقة يعلي من شأن الفيلسوف المؤمن لأنه يستطيع دون توسط النص أن يصل إلى غايته في فهم الكون، و إدراك أسرار الحقيقة(3) فبعد حوار معمق بين حي و أسال و سلامان يكتشف الجميع أنهم يملكون حقيقة واحدة في فهم الكون و يدركون سرّ الأسرار متمثلا في توحيد الذات الإلهية العليا إدراكا للذات و معرفة بالصفات إن رسالة ابن طفيل تنطوي على الأقل على خطابين واضحين :

خطاب فلسفي نقي تعرضه مقدمة الرسالة، وفيه يعرض ابن طفيل تصوّره الفلسفي الذي يؤسسه على قراءة خاصة لتاريخ الفلاسفة في الإسلام ، و خطاب آخر يمكن أن تطلق عليه خطابا حكايا يشكّل الوحدة الروائية المتسعة من رسالة ابن طفيل ، و هذا الخطاب الأخير ينطوي على منطق زمني مزدوج القصة و السرد ، و القصة هي المضمون (4)

1 أحمد أمين، تاريخ "حي بن يقضان" www.almaer.gov.kw تاريخ الدخول: 26/02/2017 على الساعة 21:30

2 الموقع نفسه :احمد امين تاريخ حي بن يقضان

3 عبد الجواد بدر، منهج البحث في الأدب المقارن بحوث ودراسات دار الوفاء لندنيا الطباعة و النشر الإسكندرية الطبعة الأولى 2003ص24

4 المرجع السابق:إبراهيم بن عبد الله بورشاشن ،مع ابن الطفيل في تجربته الفلسفية ص72

الذي عرضه القاصّ و السرد هي الطريقة التي عرض بها المضمون .

وإذا تأملنا هذا " الخطاب الحكائي " فإننا نجد مضمونه يستمد من الفلسفة أكثر و نجد طريقته في العرض ذات شكل عجائبي، خرافي ألصق بالغرابة .

فقد أعلن ابن طفيل عن جمعه بين الطريقتين الفلسفيين طريق النظر و طريق أهل الذوق و حاول في رسالته الفلسفية أن يجمع بين التجربة الفلسفية العقلية و التجربة الفلسفية المشرقية ليجمع في تركيب غريب بين ابن باجة ممثلاً للإتجاه المشائي من جهة والغزالي و ابن سينا ممثلين للإتجاه الذوقي من جهة أخرى ، و يتجلى هذا الجمع في معجم القصة و منهجها في المعرفة الذي يتأسس عليه، ففي القصة نجد معجمين مختلفين معجماً أرسطياً مشائياً و معجماً صوفياً مشرقياً و يبدو أن هذا التعايش عند ابن طفيل يقوم على قناعة تزعم أن التجربة الفلسفية المشائية تجربة قاصرة .⁽¹⁾

إنّ الأساس الفلسفي لهذه القصة " حي بن يقضان " هو الطريق الذي كان عليه فلاسفة المسلمين على مذهب الأفلاطونية الحديثة وقد صوّر ابن طفيل الأندلسي الإنسان الذي هو رمز العقل في الصورة "حي بن يقضان" و اليقضان هو الله .

و قد رمى ابن طفيل من ورائها إلى بيان الإتفاق بين الدين و الفلسفة⁽²⁾ فحي هو العقل الباحث عن المعرفة إنطلاقاً من اللاشيء أي أنه بدأ بالبحث و عقله مجرد صفحة بيضاء و قد وصل في النهاية إلى نفس الحقائق التي أتى بها الإسلام .

فالدين حق و الحق لا يتعدد و لهذا إتفق الدين و الفلسفة .⁽³⁾

فيعد ابن طفيل من فلاسفة المسلمين، و قد حاول أن ينقل في قصته " حي بن يقضان " هذه الفلسفة عن طريق السرد الروائي الذي بفضل له لمحنا فلسفته العقلية التي تؤكد أن بوسع الإنسان أن يرتقي بنفسه من المحسوس إلى المعقول، وأن يصل بقواه الطبيعية إلى

¹ المرجع السابق :ابراهيم بن عبد الله بورشاشن : ص155

² المرجع السابق:ابن سينا وابن الطفيل و السهرودي ،حي بن يقضان ص14-15

³ عبد الرحمان بدوي ،حي بن يقضان لابن طفيل،الهيئة المصرية العامة للكتاب ص30

معرفة الإله و الإيمان به ومن ثم فهم العالم من حوله، و قد قسم هذه المعرفة إلى قسمين المعرفة العقلية و المعرفة الحدسية التي ينكشف فيها الأمر للنفس بوضوح ليس عن طريق المصطلح الفلسفي، و إنما عن طريق الحال الذي يستوطن القلب و يستدل به عن طريق الحدس .(1)

ويرى ابن طفيل إختلاف الفيلسوف عن العامّة، بقدرته على إدراك الحقائق الإلهية بعقله و حدسه أمّا العامة فهي بحاجة إلى من يرتقي بها إلى هذه المبادئ العالية عن طريق(2) الحدس و الخيال لهذا فشلت مهمة "حي" في مدينة "آسال" العاصية، في إقناع العامّة بالإيمان عن طريق العقل و الحدس.

المبحث الثالث :خصائص الكتابة القصصية الفلسفية عند ابن طفيل :

تعدّ قصة حي بن يقضان من الروائع الفكرية و الأدبية في تاريخ الأدب العربي قديما وحديثا حيث يتميز هذا الأثر النفيس بمحتواه الفكري و الفلسفي العميق الأبعاد، و الرحب الأفاق بخياله الخصب و بناءه الطريف.

و لقد قصد ابن طفيل درس سيرة المعرفة الإنسانية و الكشف عن قدرات الإنسان وامكانيته المعرفية و مؤهلاته الحسية و استعداداته العقلية، و حدود فطرته و قدحاته الذهنية عبر خبرته و ما يكسبه من تجارب الحس التي ترتقي به إلى المعرفة العقلية و الاكتشافات المعرفية التقنية.(3)

¹ ورد تعريفي مصطلح "الحال" لدى ابن عربي على الشكل التالي:

هو ما يرد على القلب من غير تعمد ولا إجتلاب ومن شرطه أن يزول و يعقبه المثل، ومن هنا نشأ الخلاف، فمن أعقبه المثل قام بدوامه ومن لم يعقبه مثل قال بعد دوامه وقد قيل الحال تغير الأوصاف على العبد من كتاب نصوص المصطلح الصوفي في الإسلام"د.نظلة الجبوري مطبعة اليرموك، بغداد ط1 1999ص130

² ماجدة حمود:مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن من منشورات اتحاد العرب 2000 الموقع

www.startimes.com تاريخ الدخول 20/02/2017 على الساعة 14:20

³ هيثم السليمان : ملتقى رابطة الواحة الثقافية،قصة حي بن يقضان للفيلسوف الصوفي ابن طفيل

rabitat.alwaha.net تاريخ الدخول 17/02/2017 على الساعة 21:53

و لقد صوّرت أحداث هذه القصة ووقائعها المتتالية محنة الإنسان و إجهاد العقل البشري للارتقاء في عالم الكون و الفساد إلى المعرفة الصحيحة القائمة على الحسّ و التجربة. و كان فيلسوفنا العربي ابن طفيل قد سلك هذه التجربة طريقة في البحث و الاكتشاف للارتقاء بالفكر البشري و الحكمة الإنسانية معتمدا الفكر الحرّ و اجتهاد المبدع مرتقيا بالحواس و معرفتها الى العالم التجريدي و الذهن الخالص.(1)

مكان القصة:

جزيرة الوقواق:

تقع أحداث القصة في جزيرة الوقواق، وهي جزيرة أسطورية ورد ذكرها في بعض المصادر القديمة: في كتاب عبيد الله بن حُرْدُ ذابة في كتابه "المسالك و الممالك" و "كتاب مروج الذهب" للمسعودي و في نزهة "المشتاق في اختراق الآفاق" للإدريسي و في كتاب "مختصر العجائب" للمسعودي و المنسوب إلى ابراهيم بن وصيف شاه و لقد ورد في كتاب "المسالك و الممالك" أن موقع جزيرة الوقواق في مشارق بحر الصّين و ذكر المسعودي أنّها تقع فوق زنجبار (2) إلى ناحية الجنوب من سفالة الزنج و أورد أنه يسكن هذه الجزيرة جنس على شكل نساء يصحن "واق،واق" و إذا قبض على إحداهن سقطت ميتة و أنه لايسكن الجزيرة رجال .

ويشير صاحب كتاب "البدء والتاريخ" إلى مظهر من مظاهر المقدسي إلى أنه يوجد في بلاد الهند شجر يعرف بالوقواق يحمل ثمرا يشبه الرؤوس الآدمية .

ويؤيدُ الدمشقي في كتابه "نخبة الدهر في عجائب البر و البحر" أنّ الوقواق شجر شبيهه بشجر الجوز و يحمل ثمرا يشبه صورة الإنسان.(3)

وذكر "عمر بن الوردی" في " فريدة العجائب " أن في جزيرة الوقواق شجرا تشبه ثماره النساء في أحزamenّ و سيفانهنّ، معلقات بشعورهنّ يصحن إذا خرجن من غلافهنّ و أحسسن بالهواء "واق...واق" فتقطع عندئذ شعورهنّ، فيسقطن و يمّتن.

¹ الطاهر احمد مكي، في الادب المقارن دراسات نظرية و تطبيقية دار الفكر العربي للطباعة و النشر القاهرة

1999ص25

² أنظر مقدمة قصة حي بن يقضان ص09

³ الموقع السابق، هيثم سليمان ملتقى رابطة الواحة الثقافية

فيبدو مما تقدم أن الأخبار الأسطورية، التي وصفت بها الجزيرة من حيث وجود شجر يُثمر النساء يصيح ويتكلم شجع ابن طفيل على اتخاذها مسرحاً لأحداث قصته، ومنطلقاً لفكرة التولد الذاتي و النشوء الطبيعي، التي اعتمدها في الخبر الثاني للقصة.⁽¹⁾

شخصياتها:

إن الشخصية الرئيسية كما يشير إليها العنوان هي "حيّ بن يقضان" وهي شخصية متدرجة نامية ومتطورة، يتمثل دورها الأساسي في الكشف عن الحقيقة واكتساب المعارف وستتفق سيرتها من حيث مراحلها وأطوار المعارف التي يجدُ حي في اكتسابها.

الطبية: ودورها أساسي في تحقيق انفراج الأزمة في المرحلة الأولى باحتضانها و رعايتها لحيّ.

أسال: كان يعيش في جزيرة قريبة من جزيرة الوقواق ولهُ صديق هو سلامان، وهما يدينان بأحد الأديان السماوية و كان "سلامان" يقول بظاهر الأشياء و يرفض التأويل و التأمل.

أمّا "اسال" فكان يغوص في الأمور الباطنية، فاختلف معه و غادر الجزيرة حتى وصل جزيرة الوقواق حيث التقى بحيّ و تعرف على طريقه في الكشف عن الحقائق الكونية والوصول الى المعرفة، واتفق معه على أن يرافقه الى جزيرته علهما يُفْلحان في هداية أهلها إلى الحق.⁽²⁾

أطوارها:

اعتمد ابن طفيل في تصوّره لقصة حي بن يقضان ووضع لسيرته خبراً أولاً متصلاً بولادة حيّ ينطلق من الواقع المألوف والتقاليد المعرفية والدينية المتوارثة والمقبولة وهو يقول بتولّد حيّ تولدا جسدياً مألوفاً من أب وأمّ، الأم هي شقيقة ملك إحدى جزائر الهند تحت خط الاستواء والأب قريب لها اسمه يقضان كان قد تزوجها خفية من شقيقها الملك فلما وضعت المرأة طفلها خشيت غضب أخيها وانتقامه فجعلت الطفل في تابوت وألقته

¹ هيثم السليمان : ملنقى رابطة الواحة الثقافية : قصة حي بن يقضان للفيلسوف الصوفي ابن طفيل
² الموقع السابق: ماجدة حمود مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن

في البحر فحملته الأمواج حتى ألقته على ساحل جزيرة الوقواق المجاورة، وصادف أن مرت به ظبية كانت تبحث عن طلاها الذي فقدته، وسمعت بكاء الطفل داخل التابوت فأزاحت اللوحة وحنّت عليه وأرضعه وحنّته حتى كبر.

واعتمد ابن طفيل خبرا ثانيا أسطوريا أساسه القول بالنشوء الطبيعي و التولّد الذاتي فيكون أصل حيّ طينة قد تخمرت في بطن أرض جزيرة الوقواق، وكانت قد احتوت على تفاحة منقسمة إلى جزئين بينهما حاجب رقيق وممتلئة بجسم لطيف هوائي تعلق به الروح الذي هو من أمر الله، ثم احتملت الطينة و استحالت إلى جسد طفل بادر إلى الاستغاثة عند اشتداد جوعه فسمعته ظبية كانت قد فقدت طلاها فقصدته وحنّت عليه و أرضعته و حنّته.

و بعد هذا تتفق بقية وقائع الخبرين، ولا نجد اختلافا في سرد تفاصيل أطوار حي و مراحل سيرته.⁽¹⁾

وبحضانة الظبية لحيّ تبدأ أطوار قصته فيما يلي:

1-حضانة الظبية له مع محاكاته لأصوات الحيوانات :

يروى ابن طفيل هذه العلاقة الكونية بين حي و بين الظبية التي فقدت وليدها فتعهدته بالرعاية فلقد ألف الظبية و ألفته، أحبته الظبية و أحبّها و تعلق بها فإن هي غابت اشتد بكأؤه و إن هي حضرت ضجّ المكان بصراخه و فرحه.

وهنا يفترض ابن طفيل أن الجزيرة خالية من السباع و الضباع و الوحوش الكاسرة و عندما يبلغ الطفل الحولين من العمر في هذه المرحلة يتعلم "حيّ" عن طريق التقليد و المحاكاة للطيور و الحيوانات الأخرى و تظهر لديه الإنفعالات الأولى مثل: الخوف و الإستغاثة و القبول و الرفض وكان له ذلك بمساعدة الظبية التي وفرت له

¹ الموقع السابق: هيثم السلیمان ملتی رابطة الواحة الثقافية

أصوات الحيوانات المعبرة عن نقل الإنفعالات مثل: الإستصراخ و الإستئلاف و الإستدفاع.(1)

و مع أن حي لم يبلغ العامين من عُمره إلا أنه في هذه المرحلة أصبح مهياً للحياة ومستعدّ لها ، حيث أصبح يحاكي الحيوانات و يعمل على تقليد أصواتها وحركاتها، فرآها كاسية مسلحة وهو عار أعزل، فاتخذ من ورق الأشجار لباسا يستتره ومن أغصان الأشجار عصيا يدافع بها عن نفسه.

2/المرحلة الثانية: اكتشاف المعرفة عن طريق التجربة و الحواس:

وتمتد هذه المرحلة من السنتين حتى السابعة من العمر، حيث تبدأ بموت الطيبة حيث حاول معرفة سبب موتها و في هذه المرحلة يتمكن حيّ من استخدام الملاحظة والمقارنة والمشاهدة و التأمل وبدأ يفهم معنى وحدة الذات و الهوية و إنفصاله عن الآخرين و يكتشف الفروق بين الكائنات الحيّة التي تحيط به وبدأت أيضا في هذه المرحلة تظهر له بعض العواطف السلبية و الإيجابية تجاه الأشياء ، وبعد محاولته لمعرفة سبب موت الطيبة فلم يرى في ظاهرها تغيرا فأدرك أنّ علتها موجودة في عضو غائب عن بصره فقام بشقّ صدرها ووصل إلى القلب فلم يجد في ظاهره أفة فشقه فوجد فيه قسمين: الأيمن فيه دم و الأيسر خال .

فأدرك أنّ الطيبة هي في الحقيقة ذلك الشيء المرتحل و ما جسدها إلا آلة سرعان ما يتفسّخ جسد الطيبة فلا يعرف ماذا يفعل به ويرى غرابين يقتتلان ، فيقتل أحدهما الآخر و يقوم بدفنه، فيواري جسد الطيبة كما يفعل الغراب .

ولكن حبه لأمه الطيبة بقي وجدا روحيا شمل جميع الطبّاء في الغابة، لأنه كان يرى صورة أمة في جميع الطبّاء.

و في المستوى العقلي نجد أن حيّ يحقق تقدما لا يستهان به في مجال التفكير و التأمل و النظر في قضايا الكون و الوجود و الحياة و استطاع في هذه المرحلة أن يكتشف علاقات كثيرة أهمها:

1 عبد الأمير ،شمس الدين ،الفكر التربوي عند ابن طفيل الأندلسي في كتابه حي بن يقضان ،الشركة العالمية للكتاب دار الكتاب العالمي الدار الإفريقية العربية بيروت 1990ص26

- 1-الكشف عن العلاقات بين الأشياء المتنافرة و المتضادة مثل علاقة الروح بالجسد.
- 2-عرف أن الإدراك يتم عن طريق الحواس وأن تعطل حاسة ما يؤدي إلى تعطل وظيفتها الإدراكية.
- 3-الكشف عن خصائص المادة و أصولها التي تعود الى الماء و الهواء و التراب و النار.

4-الكشف عن مبدأ العلية و السببية بين الظاهرة الطبيعية. (1)

3-المرحلة الثالثة: استنتاجه حول الروح الحيواني :

تبدأ باكتشافه النار و تعرفه على طرق استخدامها حين ألقى فيها بعض الحيوانات البحرية فإهتدى إلى شيء من اللحوم الناضجة ثم قارن هذه النار و حرارتها مع حرارة الحيوان وما كان يجده في نفسه من شدة الحرارة عند صدره، و استنتج أن هذا الشيء هو نفسه أو قريب من الذي يبحث عنه فأخذ بتشريح الحيوانات و البحث عن ترتيب أعضائها وأوضاعها وكميتها ثم استنتج ان لكل عضو وظيفة .

وقد إستفاد من عملية التشريح، حيث إكتسى بجلود الحيوانات التي يشرحها و إتخذ الخيوط من الأشعار، و عمل الخطاطيف و إتخذ بيتا و إستعان بالجوارح على الصيد. (2)

4-المرحلة الرابعة : إكتشافاته الخاصة بوحدة الروح والمادة والصورة :

بلغ في هذه المرحلة سن الثامنة و العشرين ،و بدأ ينضج فكره فنظر في مختلف الأجسام و توصل إلى إدراك وحدة الروح في الجسم وإتفاق مادة الكائنات و إختلاف صورها فتفهم علة الحوادث و سرّ تباين الأجسام حيث أخذ ينظر في عالم الكون من الحيوان و النبات و الجماد...و ينظر في خصائصها و يقارنها ،فإستنتج الخصائص المشتركة للحيوانات و النباتات و الأجسام التي لا تحسّ فرأى أن حقيقة وجود كل واحد منها مركبة من معنى الجسمية و من شئء آخر زائد على الجسمية فأيقن أن هذا الشيء

¹ الموقع السابق: هيثم السليمان ،ملتقى الرابطة الواحة الثقافية قصة حي بن يقضان للفيلسوف الاندلسي ابن طفيل

² المرجع السابق: عبد الامير شمس الدين ص 30

الزائد هو الروح الحيواني الذي يبحث عنه، فأطرح المعنى الجسمي و تعلق فكره بالمعنى الثاني الذي يعبر عنه النفس . (1)

المرحلة الخامسة : التطلع إلى الكواكب و أجسامها :

يرصد في هذه الفترة الفضاء محاولاً التطلع إلى ما فيه من كواكب و أفلاك و يتعرف على كروية شكلها و على مافي العالم من قدم و حدوث، حيث يستنتج أن الكواكب لها نهاية ثم يستنتج حركتها الدائرية، ووصل إلى أن الفلك وما يحتويه شيء واحد وأن جميع الأجسام الأرض , الماء ,الهواء هي كلها ضمنه غير خارجة عليه، ثم قارن بين الكواكب و الحيوانات من حيث البنية، ثم إنتقل إلى التفكير في العالم بجملته, و كيفية نشأته ووجوده (2)

وهل هو حادث أم محدث ؟ وقرر أن الفاعل لا يمكن أن يدرك بشيء من الحواس، لأنه لو أدرك لكان جسماً ولو كان جسماً لكان من جملة العالم فهو محدث و كما أدرك أنه لا يحس فهو لا يمكن أن يتخيل لأن التخيل ليس شيئاً إلا إحضار صور المحسوسات بعد غيبتها وإذا لم يكن جسماً فصفت الأجسام كلها تستحيل عليه (من طول و عرض و عمق) وإذا كان فاعلاً للعالم فهو لا محالة قادر عليه و عالم به .

فتوصل إلى حقيقة الخالق فهو الوجود والكمال و الحسن و البهاء و القدر والعلم . (3)

6 -المرحلة السادسة : الإستنتاج العقلي :

تبتدى هذه المرحلة باستنتاجاته العقلية، وقد بلغ الخامسة والثلاثين فيستنتج إنفصال النفس عن الجسد وإختلافها عنه مصيرياً و حالات إدراكها الخلود أو الفناء، و يقف على سرّ

¹ ماجدة حمود،مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن من منشورات إتحاد العرب 2000،الموقع

² الموقع السابق:هيثم السليمان www.startines.com،تاريخ الدخول 20/02/1017 على الساعة 15:15

³ يوسف بكار و خليل الشيخ،الأدب المقارن الشركة العربية المتحدة للتسويق و التوريدات بالتعاون مع جامعة القدس

المفتوحة. 2009

السعادة بفضل تأملاته و مشاهداته الدائمة و حالاته الاشرافية ،و مازال يقتصر على السكون في قصر مغامرته مطرقا غاضا بصره ،معرضا عن جميع المحسوسات و القوى الجسمانية .

إذ يبلغ حيّ من النضج العقلي مبلغا عظيما و يصل إلى السعادة الكبرى و هنا يصبح حي صوفيا إشراقيا .

7- المرحلة السابعة : سبيل السّعادة:

في هذه المرحلة الأخيرة يدرك حي أنّ سعادته في دوام مشاهدته للموجود الواجب الوجود و قد غابت عنه ذاته و فنيت و تلاشت

ومازال يطلب الفناء عن نفسه و الإخلاص في مشاهدة الحق حتى تأتي له ذلك ... "وشاهد مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" و تنتصب الحالة الصوفية الإشرافية التي عاشها بإدراكه أن ذاته مباينة لذلك الحق بعد أن خطر بباله أن ذاته هي ذات الحق و هكذا يشرق عليه الله بنوره فيشاهد لنفسه ذاتا مقارنة و يرى

" مالا عين رأت ولا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر" (1)

ثم ينتقل "إبن طفيل" إلى وصف جزيرة قريبة من جزيرة " حي بن يقضان" فيها ملة تدين بدين أحد الأنبياء، و كان فيها رجالان(أسال و سلامان) يدينان بهذا الدين ،فكان أسال أشدّ غوصا على الباطن وأطمع في التأويل ،و كان سلامان يقول بظاهر الأشياء

و يرفض التأويل و التأمّل فإختلف معه أسال و غادر الجزيرة حتى وصل إلى جزيرة الوقواق حيث إتقى بحيّ و علمه الكلام و أصول الدين الصحيحة و تعرف هو بالمقابل على طريقة حي و بالكشف عن الحقائق الكونية و الوصول إلى المعرفة و إتفق معه أن يرافقه إلى جزيرته علّهما يفلحان في هداية أهلها إلى الحقّ، إلاّ أنّهما لم يفلحا بذلك حيث نفروا عنهم .

¹ الموقع السابق: هيثم السليمان (ملتقى رابطة الواحة الثقافية) قصة حي بن يقضان للفيلسوف الأندلسي ابن طفيل.

فتحقق عند حيّ أن مخاطبة الناس بطريقة المكاشفة لا ينفعهم، وأن تكليفهم من العمل فوق القدر الذي كلفوا به لا يمكن وأدرك أن الحكمة كلّها و الهداية و التوفيق فيما نطق به الرسل ووردت به الشريعة وأنّ (لا ميسر لما خلق له).⁽¹⁾

المحاميل الثقافية في قصة " حي بن يقضان " (الدوافع و الأسباب):

بعد أن إفتتح ابن طفيل كتابه بالحمد لله و الثناء عليه قال " سألت أيها الأخ الكريم الصفي الحميم – منحك الله البقاء الأبدي و أسعدك السعد السرمدي – أن أبث إليك ما أمكنني بثه من أسرار الحكمة المشرقية التي ذكرها الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا .. "

و أثناء إستطراده يظهر بوضوح لنا من أول وهلة الجانب الصوفي في شخصية ابن طفيل عندما يقول: " ولقد تحرك مني سؤالك خاطرا شريفا أفضى ربي و الحمد لله إلى مشاهدة حال لم أشهدها قبل و إنتهى بي إلى مبلغ هو من الغرابة بحيث لا يصفه لسان ولا يقوم به بيان لأنه من طور غير طورهما وعالم غير عالمهما ... " ⁽²⁾

ثم بدأ بعد ذلك يظهر الطابع النقدي في شخصيته هذا الطابع الذي يتميز به فلاسفة المغرب و الأندلس عموما.

فقد إنتقد ابن طفيل أربعة من الفلاسفة ⁽³⁾ هم: " ابن باجة و الفرابي ابن سينا و الغزالي " على التفاوت في قوّة النقد لكلّ منهم .

وقد أوضح ابن طفيل الغرض الوحيد الذي دفعه لتأليف هذا الكتاب هو توضيح الطريق الذي يسلكه المرید بكل أطواره حتّى يصل إلى معرفة الله الكاملة و الفناء فيه و المكاشفة منبها صديقه السائل أنه لن يوضّح له غاية الطريق و نهايته إلاّ بعد شرح مسالكه و بدايته:

¹ هيثم السلیمان، ملتقى رابطة الواحة الثقافية: قصة حي بن يقضان للفيلسوف الاندلسي ابن طفيل.

² المرجع السابق: ابن سينا و ابن طفيل و السهرودي قصة حي بن يقضان ص57

³ المرجع نفسه ص59

"غير أننا إن ألقينا إليك بغايات منها ما إنتهينا إليه من ذلك من قبل أن نحكم مبادئها معك لم يفدك ذلك شيئاً أكثر من أمر تقليدي مجمل... ونحن لا نرضى لك هذه المنزلة ونحن لا نقتنع لك بهذه الرتبة... وإتّما تريد أن نحمّلك على المسالك التي نقدم عليها سلوكنا ونسبح بك في البحر الذي قد عبرناه أوّلا حتى يفضي بك إلا ما أفضى بنا فتشاهد ما شاهدناه و تحقق ببصيرة نفسك كل ما تحققتاه..."⁽¹⁾

ففي التمهيد أسباب كتابة القصة وهي أسباب تعليمية فقد كتبها بناء على سؤال صديقه عن الحكمة المشرقية⁽²⁾ التي ذكرها الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا لذلك نصحه بلهجة تعليمية قائلاً " فأعلم : أن من أراد الحق الذي لا جمجمة فيه فعليه بطلبه و الجدّ في إقتنائه" وهذا ما فعله بطل قصة (حي) حين بذل غاية جهده ليصل إلى الحقيقة .

ولم يذكر إسم صديقه وإنما وصفه " الأخ الكريم" الصفي الحميم لذا نرجح أن يكون متلقيا عاما يتخيله المؤلف كي يستطيع محاورته ومن ثم يحاول هدايته إلى ضرورة إستخدام العقل و الحدس في قضية الإيمان بالله تعالى .

لذا وجدناه في خاتمة القصة يقول له : " أردت تقريب الكلام فيها على وجه الترغيب

و التشويق في دخول الطريق و أسأل الله التجاوز و العفو، و أنّ يوردنا من المعرفة به الصفو إنه منعم كريم و السلام عليك أيها الأخ المفترض إسعافه و رحمة الله و بركاته".

سعى ابن طفيل في قصته "حي بن يقضان" إلى تقصي سيرة المعرفة الانسانية .

و الكشف عن الحقيقة بطريقة فنية أدبية ،اتسمت بالروعة و الطرافة في البناء وجمال الوصف والسرد القصصي الذي يعتمد التشويق و الإثارة و الحوار الداخلي الأخاذ ويتوصل "حي" إلى المعرفة الحقيقية، ويتعرف على أسرار الحياة والكون عن طريق الملاحظة والتأمل الواعي، والمشاهدة والتطلع الدائم والتجربة والعقل .

وتترابط أحداث القصة بأطوار الاكتشافات ومختلف حلقات المعرفة الإنسانية

¹ المرجع السابق: ابن سينا و ابن طفيل و السهرودي قصة حي بن يقضان ص56
² إختلف المستشرقون إختلافا في تفسير هذه الكلمة هل هي رديف لكلمة حكمة الإشراف او هي مقابل لحكمة المغاربة فنحن نرجح أن تكون نسبة إلى المشرق مقابلة لحكمة المغرب وهي حكمة اليونان ومن إليهم .

حيث تبدأ بموت الطبيعة سلسلة من الأزمات و المفاجآت تتلاحق وتترابط مع أطوار حياة "حي" ونموه وتسأولاته الهادفة إلى الحصول إلى المعرفة و الكشف عن الحقيقة والتعرف على أسرار الحياة و الكون بدءا بالتساؤل عن سبب وفاة الطبيعة

فاكتشافاته المختلفة المتعلقة بحياته في الجزيرة وتسخير الطبيعة لفائدته ثم لقائه بأسال و زيارته لجزيرة أسال و كان في كل مرحلة من هذه المراحل يشاهد عائقها ويكشف حقائق ويستقر على رأي ويزداد إطلاعا ومعرفة.⁽¹⁾

وإذا بحثنا في خصائص هذه القصة فهي لا تملك الخصائص الفنية للقصة المعروفة اليوم من مقدمة وعقدة وحلّ فقد استخدم ابن طفيل السرد طريقا للتعبير عن أفكاره التي أراد أن يبرهنها في القصة ، فهو فيلسوف يهتم بالمضمون الفكري أكثر من اهتمامه بالشكل القصصي.⁽²⁾

ولكنه مع ذلك أعطى شكلا فنيا لقصته، مع بساطته ،يعدّ من الأوائل الذين سهلوا الطريق للقصة العربية حيث أن عصره لم يعرف القصة ،إلا في بعض الرسائل التي يمكن اعتبارها بذرة أولية للقصة العربية ،ومع ذلك فهو أعطى للقصة بعدا زمنيا وآخر مكانيا وشيئا من التحليل النفسي.

أما أسلوب القصة فقد استخدم ابن طفيل أسلوبا بسيطا في سرد قصته اعتمد فيه الألفاظ السهلة المألوفة مع شيء من الرمز والإيحاء، فبطل قصته يرمز للعقل السليم الذي يتوصل إلى الحقيقة عن طريق المسلمات المعرفية، وقد استخدم جملا⁽³⁾ بسيطة مفهومة مترابطة خالية من التعقيد يضطر، أحيانا إلى إيراد بعض الاستطراد فيترك القصة بين الحين و الآخر ليروح عن القارئ، وكونه صوفيا فقد استخدم كثير من ألفاظهم

و تعابيرهم المتعلقة بالمشاهدة و الكشف .

¹ هيثم سليمان (ملتقى الرابطة الثقافية) قصة حي بن يقضان للفيلسوف الصوفي ابن طفيل rabitat.alwahas

تاريخ الدخول 2017/02/19 على الساعة 21:53

² الموقع نفسه :هيثم سليمان قصة حي بن يقضان

³ المرجع السابق: إبراهيم بن عبد الله بورشاشن مع ابن طفيل في تجربته الفلسفية ص39

كما تظهر ثقافته العلمية وإطلاعه على كثير من العلوم من خلال ما بثه من جوانب القصة من أفكار وألفاظ علمية تدلّ على ما كان يملكه من العلوم فهو مطلع على أرخميدس حيث قام حي بتجربة مماثلة لتجربته في قوة الدافعة المعروفة بإسمه .

"دافعة أرخميدس" فقد عرف التغذية و النمو⁽¹⁾ تعريفا علميا فلسفيا فالتغذي : هو أن يخلف المتغذي بدل ما تحلل منه بأن يحيل إلى التشبيه بجوهره مادة قريبة منه يجتذبا إلى نفسه و النمو : هو الحركة في الأقطار الثلاثة على نسبة محفوظة في الطول و العرض والعمق.

أما الألفاظ العلمية فقد أورد الكثير منها في قصته من مثل (الأسطقصات⁽²⁾ التسخين التبريد، الإضاءة، التكتيف، الشفافة، الفلك، علم الهيئة القطب، خط الإستواء، الطول العرض والعمق...)

وقد إستمد من التاريخ أيضا فعندما تحدث عن الطريق الثانية لولادة حي بن يقضان وهو أنه كان بإيزاء جزيرة الوقواق جزيرة يملكها رجل شديد الأنفة و الغيرة ، و كانت له أخت ذات جمال باهر فمنعها من الزواج إذا لم يجد لها كفئا ، وكان له قريب يسمى "يقضان" فتزوجها سرا وحملت منه ووضعت طفلا و لما خافت أن يفتضح أمرها وينكشف سرها وضعت في تابوت و أحكمت إغلاقه و خرجت به في أول الليل إلى ساحل البحر وقذفت به في اليمّ فحملته أمواجه إلى ساحل تلك الجزيرة .

فإبن طفيل يستلهم ذلك ممّا أوردته بعض كتب التاريخ و الأدب عن قصة العباس أخت هارون الرشيد مع جعفر بن يحيى البرمكي حيث⁽³⁾ أن الرشيد كان لا يبصر عن جعفر و عن أخته عباسة بنت المهدي وكان يحضرهما إذا جلس للشرب فقال لجعفر : أزوجكما ليحلّ لك النظر إليها ولا تقربها فإني لا أطيق الصبر عنها ، فأجابته إلى ذلك فزوجها منه

¹ ابن طفيل قصة حي بن يقضان تقديم و إخراج عمر سعيدان ، دار الحوار للنشر و التوزيع، 1988ص2

² الأسطقصات: هي الأرض و الماء و الهواء و النار. التنبيه و الإشراف ج1 ص42

³ الكامل في التاريخ: ج5 ص348

و كان يحظران معه ثم يقوم عنهما وهما شابان فجامعها جعفر فحملة منه، فولدت له غلاما فخافت الرّشيد فسيرته مع حواضن له إلى مكة فأعطته الجواهر و النفقات ... (1)

و الصلة واضحة بين ميلاد كل من يحيى وإبن العباسة سرّا و محاولة كلّ منهما تهريب ابنها كما أن ابن طفيل إستلهم في وضع أم حيّ له في التابوت و قذفه في اليمّ قصة أم موسى عليه السّلام في القرآن الكريم حين خافت عليه من فرعون أن يقتله لقوله تعالى : " أن أقدفيه في التابوت فأقدفيه في اليمّ فيلقيه اليمّ بالساحل " (2)

وقد كان للقرآن الكريم وجودا كبير في القصّة، فقد إستمدّ من قصة الكهف حين أوى حيّ إلى الأجمة ليختبأ فيها لقوله تعالى : " إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربّنا أتينا من لدنك رحمة و هيئ لنا من أمرنا رشدا " (3)

واقتبس من قصّة قابيل و هابيل عندما أقتتل الغرابان فقام أحدهما بدفن الآخر و هذا كما ورد في القرآن الكريم لقوله تعالى : " فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه " (4) و ذلك عندما أراد دفن الظبية بعد موتها .

وقد أورد ابن الطفيل جملة من آيات الذكر الحكيم ،منها ما أورده بحرفيته كآيات لقوله تعالى " ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير " (5)، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلاّ في كتاب المبين " (6)

¹ ينظر في قصة العباسة : تاريخ الطبري (1729-1732) وفيات الأعيان (1/328-346)،مرأة الخيان (1/404) و ما

بعدها (-النجوم الزاهرة (2/212)

² سورة طه الآية (39)

³ سورة الكهف الآية (10)

⁴ سورة المائدة الآية (31)

⁵ سورة الملك الآية (14)

⁶ سورة سبأ الآية (3)

" إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقل له كن فيكون " (1)

" ولا تدع مع الله إلهاً آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون " (2) ، " لمن الملك اليوم لله الواحد القهار " (3)

" يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون " (4)

لقوله أيضاً: " ختم الله على قلوبهم و على سمعهم و على أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم " (5)

لقوله تعالى " فأما من طغى و أثر الحياة الدنيا، فإنّ الجحيم هي الماوى " (6)

لقوله أيضاً " سنّة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً " (7)

" والسابقون السابقون أولئك المقربون " (8)

ولقوله تعالى " فلم تقتلوهم ولكنّ الله قتلهم وما رميت إذ رميت و لكن الله رمى " (9)

ومنها من أخذ معناه و تصرف في صياغته كقوله: " وشاهد نوات كثير مفارقة للمادة كأنها مرايا صدئة قد ران عليها الخبث، ورأى لهذه النوات من القبح و النقص ما لم يقم قط بباله و رآها في آلام لا تنقضي و حسرات لا تنمحي قد أحاط بها سرادق العذاب

و أحرقتها نار الحجاب، و نشرة بمناشير بين الإنزعاج و الإنجذاب " (10)

فهنا يظهر تأثيره بآيات الذكر الحكيم حيث إقتبس المفردات القرآنية، و إستقى معنى الآيات ليعبر عن مراده من القول وقد جمع فيه معاني الآيات التالية :

¹ سورة يس الآية (82)

² سورة القصص الآية (88)

³ سورة غافر الآية (16)

⁴ سورة الروم الآية (7)

⁵ سورة البقرة الآية (7)

⁶ سورة النازعات الآية (37-38-39)

⁷ سورة الفتح الآية (23)

⁸ سورة الواقعة الآية (10-11)

⁹ سورة الأنفال الآية (17)

¹⁰ المرجع السابق: ابن طفيل، قصة حي بن يقظان ص111

" كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون" (1)

لقوله أيضا " و الذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور" (2)

لقوله تعالى " وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا إعتدنا للظالمين نار أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب و ساءت مرتفقا" (3)

ولقوله تعالى " وبينهما حجاب " (4)

ومن اقتباساته القرآنية أيضا قوله: " و يزيل الظنون المعترضة و يعيد من همزات الشياطين " (5) مأخوذة من قوله تعالى " وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين " (6)

وقوله " و تحقق عنده أنه من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون " (7) مأخوذة من قوله تعالى " ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون " (8)

وقوله " وابتهلا إلى الله تعالى أن يهبي لهما من أمرهما رشدا " (9)

مأخوذة من قوله تعالى " إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا أتنا من لدك رحمة و هيئ لنا من أمرنا رشدا" (10)

ومن ذلك أيضا: قوله: " و تصفح طبقات الناس بعد ذلك، فرأى كل حزب بما لديهم فرحين قد اتخذوا إلههم هواهم ومعبودهم شهواتهم، وتهالكوا في حطام الدنيا إلههم التكاثر حتى

¹ سورة المطففين الآية (14)

² سورة فاطر الآية (36)

³ سورة الكهف الآية (29)

⁴ سورة الأعراف الآية (46)

⁵ المرجع السابق: ابن طفيل، قصة حي بن يقضان ص116

⁶ سورة المؤمنين الآية (97)

⁷ المرجع السابق: ابن طفيل قصة حي بن يقضان ص123

⁸ سورة يونس الآية (62)

⁹ المرجع السابق: ابن طفيل، قصة حي بن يقضان ص120

¹⁰ سورة الكهف الآية (10)

زارو المقابر لاتتجح فيهم الموعظة ولا تعمل فيهم الحكمة الحسنة ولا يزدادون بالجدل إلا إصرارا و أما الحكمة فلا سبيل لهم إليها ولا حظ لهم منها ،قد غمرتهم الجهالة و ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون.. و إشتهروا بها ثمنا قليلا ،وألهام عن ذكر الله تعالى التجارة والبيع ولم يخافوا يوما تنقلب فيه القلوب و الأبصار....⁽¹⁾ فقد إقتبس جملة من الآيات:

" فتقطّعوا أمرهم بينهم زبرا كلّ حزب بما لديهم فرحون " (2)

" فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنّما يتبعون أهواءهم ومن أضلّ ممّن إتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين " (3)

" الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر " (4)

ولقوله أيضا: " أدع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة و جادلهم بالتّي هي أحسن " (5)

" رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب و الأبصار "

كما إستمد ابن طفيل تعابيره من القرآن الكريم فقد إستقى من الحديث الشريف إمّا رواية عن الرّسول الله صلى الله عليه وسلم كما في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربّه عزّوجلّ " كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به .⁽⁶⁾

¹ المرجع السابق: ابن طفيل قصة حي بن يقضان ص125

² سورة المؤمنين الآية (53)

³ سورة القصص الآية (50)

⁴ سورة التكاثر الآية (21)

⁵ سورة النحل الآية (125)

⁶ الأحاديث القدسية ،ص75،16،رياض الصالحين ص157،158،ونص الحديث (ماتقرب إلى عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ،فإذا احببته كنت سمعه الذي سمع و بصره الذي يبصره ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني أعطيته.)

أو إستشهادا به ضمن سياق الكلام " شاهد مالا عين رأت ،ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" (1) حين يصف المشاهد التي يعجز عن وصفها الواصفون عند رؤية الله تعالى ومن ذلك قوله " فلكلّ عمل رجال ،وكلّ ميسر لما خلق له "(2)

ويأخذ كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه : " إذ الدنيا و الآخرة كضرتين إن أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى" (3)

ونجده يستفيد من حافظته الشعرية في تدعيم قيمة نصّه الفنية يقول " سئمت تكاليف الحياة الدنيا" (4)

وهو مقتبس من قول زهير بن أبي سلمى (5)

سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش

ثمانين حولاً لا أباك يسأم

و نلاحظ من هذه القصة عنصر الصدفة يلعب دورا كبيرا منذ البداية حتى النهاية إذ لعبت دورها عند ما وصل حي بن يقضان إلى الجزيرة، حيث فقدت الطيبة ابنها فرأت " حي" و الصدفة أيضا هي التي أرسلت الغرابيين ليقتتلا فيقتل أحدهما الآخر ليعلم حي كيف يدفن جسد الطيبة ،و الصدفة هي التي أشعلت النار ليكتشفها حي و يعرف أثرها و بالتالي فالصدفة أيضا هي الأساس في تفكره في وجود عنصر من هذه النار في روح الطيبة التي ماتت. (6)

¹ المنهاج ص1973 رقم الحديث 2825 مختصر صحيح البخاري ،ص568 رقم الحديث 1679 ،ونص الحديث (قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : "يقول الله عزوجل أعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ،ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فخرا بله ما أطلعكم الله عليه)

² المنهاج ص1876 رقم الحديث 2649 ونص الحديث (قيل يا رسول الله ،أعلم أهل الجنة من أهل النار؟قال فقال : نعم ،قال : قيل ففيم يعمل العاملون ؟ قال "كل ميسر لما خلق له ")

³ إحياء علوم الدين :ج3ص22ونصه قال علي عن الدنيا و الآخرة :هما ككفتي ميزان ،و كالمشرق و المغرب و كالضرتين :إذا أرضيت إحداهما أسقطت الأخرى)

⁴ المرجع السابق: ابن طفيل :قصة حي بن يقضان ص136

⁵ شرح المعاني السبع ص109

⁶ هيثم سليمان (ملتقى الرابطة الثقافية) قصة حي بن يقضان للفيلسوف الصوفي ابن طفيل rabitat.alwaha.net تاريخ الدخول 2017/02/18 على الساعة 14:22

و قد كان للخيال دور كبير في القصة، فهي بالأساس تقوم عليه في مكانها و أحداثها لتستطيع أن تعدّها شيئاً من الأسطورة .

إذن فقد إعتد إبن طفيل في قصته الخيال الفلسفي الصوفي المرتكز على المبادئ الإسلامية و الحقائق العلمية مدلا على إمكانية العقل و التسليم و التوصل إلى حقيقة الذات الإلهية عن طريق التأمل و المشاهدة و التطلع الدائم و التجربة.

ملاحظات فنية حول قصة "حي بن يقضان" :

تعد قصة "حي بن يقضان" من أهم القصص التي ظهرت في العصور الوسطى، في نظر كثير من النقاد فهي رائدة في فن القصص إلى جانب ألف ليلة و ليلة لهذا لا يحق لنا أن نحاكمها بمقاييس عصرنا، و ما توصلنا إليه من إنجازات في النظرية السردية فإذا حاولنا الحديث عن هذه القصة بمقاييس عصرنا اليوم فليست الغاية تقويمية، كما قد يظن البعض، و إنما من أجل إبراز إنجازاتها الفنية المدهشة و إبراز سقطاتها الفنية التي مازلنا نلاحظها لدى كتابنا اليوم.⁽¹⁾

فثمة وعي لدى المؤلف أنه يقدم قصة لذلك وجدناه يستخدم هذا المصطلح في التمهيد "فأنا واصف لك قصة" حي بن يقضان" و قد استخدم مصطلح " واصف" بدل مصطلح " سارد" أو " أقص " كذلك أبرز في التمهيد أسباب كتابة هذه القصة إنها أسباب تعليمية فقد كتبها بناء على سؤال صديقه عن الحكمة المشرقية التي ذكرها الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا، لذلك ينصح بلهجة تعليمية قائلا " فأعلم أن من أراد الحق الذي لا جمجمة فيه فعليه بطلبه و الجدّ في إقتنائه " و هذا ما فعله بطل قصته " حي " حين بذل غاية جهده ليصل إلى الحقيقة .

لم يذكر هنا، إسم صديقه، و إنما وصفه بـ " الأخ الكريم " الصفي الحميم لذلك نرجح أن يكون متقيا عامّا يتخيله المؤلف حي كي يستطيع محاورته، و من ثمّ يحاول هدايته إلى ضرورة استخدام العقل و الحدس في قضية الإيمان بالله تعالى لذلك وجدناه في خاتمة

¹ ماجدة حمود: مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن من منشورات إتحاد الكتاب العرب الموقع
www.startimes. Com تاريخ الدخول 21/02/2017 على الساعة 20:15

القصة يقول له " أردت تقريب الكلام فيها على وجه الترغيب و التشويق في دخول الطريق و أسأل الله التجاوز و العفو وأن يوردنا من المعرفة به الصفو إنه منعم كريم

و السلام عليك أيها الأخ المفترض إسعافه و رحمة الله و بركاته " (1) وبذلك إتضح لنا أن المؤلف يخاطب متلقيا مضمرا موجود بالقوة متوجّها إليه بالخطاب عله يفتح أمامه سبلا مجهولة للإيمان لعله يستطيع هدايته و إنفاذه من الجهل و الكفر. (2)

لو أردنا تحديد جمالية هذه القصة لوجدناها تكاد تنحصر في الجزء الأول (قصة ولادته و نشأته و في الجزء الأخير حين إتقى بأسال) و يبدو لنا مشهد اللقاء مشهدا سرديا جميلا بكلّ المقاييس الفنية إذ إحتفظ بقدرته على التشويق كما شاعت به حيوية، بفضل تنوع الحركات التي لمسناها لدى كلّ من (حي) و (أسال) من ركض و إختباء

و تلاحم في الأيدي ثم لمسات اليد بالإضافة إلى تنوع البيئة إذ تمّ اللقاء بين البيئة الحضرية بكلّ ما تعنيه من إنجازات (في الملابس و الطعام و التصرفات) و البيئة البدائية بكل ما تعنيه من حياة فطرية أشبه بحياة الحيوانات، هذا على صعيد الجسد

و لكن هذا التناقض سرعان ما يختفي على صعيد الروح، إذ يتبين أسال أن (حي) لا يقل عنه إيمانا و معرفة بالله، لهذا يوافق على اصطحابه إلى مدينته العاصية لهداية أهلها ثمة عناية في رسم هذا المشهد، ظهرت في طريقة تقديم المؤلف للشخصيتين الرئيسيتين في القصة، فلجأ إلى رسمهما في الخارج و خاصة شخصية (حي)، فبرز لنا في شكله البدائي كما هو وارد (شعر رأسه يغطي جسده ريش النسر الذي يكسوه)، كما وصف لنا الأعماق فإستطاع أن يبرز لنا حالة الرعب التي أحس بها كلّ واحد منهما حين التقى بالأخر و خاصّة رعب المدني من البدائي و بذلك إجتمع في هذا المشهد عناصر سردية تجعل هذه القصة ذات سيمات فنية ممتعة إلى حد ما. (3)

¹ ابن طفيل، حي بن يقضان، مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة جمهورية مصر العربية ص56

² المرجع نفسه ص57

³ المرجع نفسه ص59

صحيح أن بداية القصة و خاتمها ،تمتعت بقدرات جمالية في السرد لكن صلب القصة التي تتحدث عن معاناة " حي " الروحية إثر وفاة أمه بدت أشبه برحلة فلسفية صوفية علمية فقد أسقط "ابن طفيل" أفكاره على الشخصية "حي" وجعله يتحدث بلغته الفلسفية الصوفية فبدت لنا هذه الشخصية البدائية، أشبه بفيلسوف مسلم يتحدث لغة القرآن الكريم دون أن يتعرف على الإسلام بعد.

إذا رغم حياة العزلة التي عاشها " حي " فقد وجدناه عالما في الفلك حيث يتأمل الكون و نشأة الأرض كما وجدناه طبيبا ،حين بدأ بتفحص جثة أمه الطيبة و يشرحها باحثا عن مصدر الحياة و سبب الموت، لنتأمل هذا القول الذي يرصد لنا أعماق الشخصية

و أفكارها " و علم أن أمه التي عطف عليه و أرضعته، إنما كانت ذلك الشيء المرتحل و عنه كانت تصدر تلك الأفعال كلها، لا هذا الجسد العاطل و أنّ هذا الجسد بجملته إنّما هو كالألة و بمنزلة العصي التي إتخذها لقتال الوحوش فانتقلت علاقته عن الجسد إلى صاحب الجسد و محركه و لم يبق له شوق إلا إليه" (1)

إنّ شخصية " حي " هي ابن طفيل العالم الفلكي و الطبيب و الفيلسوف و بذلك توحد المؤلف مع الشخصية ،في أغلب أحوالها و صفاتها و أفكارها و لغتها، فكانت الغاية من هذه القصة إيصال أفكاره إلى القراء عن طريق شخصية يتماهى بها تستطيع أن تقدم أفكاره التي قد لا يستطيع التعبير عنها بصراحة .

لعل إغراق الشخصية في التأمل النفسي و الصوفي أساء إلى البنية السردية للقصة إذ أن فن القصة من أكثر الفنون إتصاقا بالمجتمع لذلك قد تؤدي العزلة الإجتماعية إلى الإساءة إليه فتفقد حيويته و جاذبيته . (2)

إن هذه الدراسة للقصة و فق معطياتها قد تكون مفيدة في إبراز إنجازاتها الفنية لكن أن نتحدث عن مزاياها و سلبياتها فهذا إجحاف في حقها لأننا نغفل عن الفارق الزمني بيننا

¹ ابن طفيل "حي بن يقضان" إعداد سمير سرحان و محمد عناني ،الهيئة المصرية العامة للكتاب مكتبة الأسرة،القاهرة 1999ص45،46

² المرجع السابق :ماجدة حمود مقارنات تطبيقية في الادب المقارن

و بينها فنحاكمها وفق معطيات عصرنا فلو حاكمناها و فق معطيات عصرنا لوجدناها عملا فنيا رائدا قدم لنا قصة فيها الكثير من المقومات الفنية (كالشخصية المكان السرد، الحوار، الصراع)⁽¹⁾

الأبعاد الحضارية في قصة حي بن يقضان لابن الطفيل : الأهداف و الغايات :

غاية ابن طفيل من خلال قصته " حي بن يقضان " هي التكلم عن تجربة الذوق و المشاهدة (و قد مثل لحال المتذوق بالأعمى الذي يرى بعد طول عمى مشاهدة ما كان يفهمه و يدركه إدراكا نظريا) عن إدراك الحقيقة، إدراكا يصير بها المدرك مخالطا للمدرك و لكن المفارقة هي أنه سيعود للإستعانة بالكلمات و الحروف و الأصوات العودة إلى التعريف بتلك التجربة على طريقة أهل النظر و لكنه إختار الرمز و القصة لحاجات سيقضيها ما كان ليقضيها لولا التخيل أن صاحب التجربة هو حي بن يقضان في جزيرة من الجزر البعيدة⁽²⁾ متولدا تولدا ذاتيا فيها، متوحدا يجد من ذاته الإرادة و القدرة على إدراك الحقائق .

كتاب قصة " حي بن يقضان " كتاب ألفه فيلسوف أندلسي في بلاد الأندلس في الغرب الإسلامي إلا أنه كان محافظا على وحدة الفكر الفلسفي الذي لم يكن غريبا و لا شرقيا فالفكر الفلسفي مصيره أن ينقل نقل من اليونان شرق أوروبا و إرتحل إلى الأندلس غربها لم يكن ممثلا للفكر الإسلامي فقط بل للفكر الديني .

ففي القصة وصل بين ما يتوصل إليه الإنسان من الحق من تلقاء عقله و بين ما تتناقله الشرائع و الديانات أو لنقل وصل بين النقل الفلسفي و النقل الديني، و ابن طفيل هو أكثر من هذا يختصر تصورات هي تصورات القرون الوسطى للإنسان في علاقته بالعالم فقد تكاملت لبناء تصور الإنسان في علاقته بالعالم في قصة حي بن يقضان معارف كثيرة طبيعية و طبية و جغرافية و فلكية، و ليست القصة ممثلة لنمط ثقافي يود البعض مقابله

¹ المرجع السابق :ابن طفيل "حي بن يقضان"ص60

² توفيق فائز :تحولات " حي بن يقضان" لابن طفيل ،قسم الفلسفة و العلوم الإنسانية www.mominoun.com تاريخ الدخول 08/03/2017 على الساعة 13:49

لنمط ثقافي آخر كما فعل مالك بن نبي في كتابه مشكلة الأفكار⁽¹⁾ في العالم الإسلامي بل هي ممثلة لطور من أطوار زمن لم يكن يعد قائماً فهل في الحنين إلى الأندلس حنين إلى ذلك الزمان ؟ لا يكون الحنين حنيناً حتى يكون لماً لن يعود أبداً ، هو الألم الناتج عن الإدراك باستحالة عودة الماضي كما يدلّ إشتقاق الكلمة الأجنبية **nostalgie** فهل مات حيّ؟⁽²⁾

هل مازال حيّ حياً بيننا ؟ مات ليعت من جديد؟

فليس حيّ واحداً بل أحياء و هي تحولاته .

فإبن طفيل من خلال كتابته للقصة أراد أن يبين الحقائق الآتية :

- المراتب التي يتدرج بها العقل في سلم المعرفة ، من المحسوسات الجزئية إلى الأفكار الكلية.

- أن العقل الإنساني قادر من غير تعليم و لا إرشاد على إدراك وجود الله بآثاره في مخلوقاته ، و إقامة الأدلة الصادقة على ذلك.

- أنّ هذا العقل قد يعتريه الكلل و العجز في مسالك الأدلة عندما يريد تصوير الأزلية المطلقة و العدم المطلق و اللانهاية و الزمان و القدم و الحدوث و مشاكل ذلك .

- أن العقل سواء ترجّح لديه قدم العالم أو حدوثه فإنّ اللازم من كلّ واحد من الإعتقاديين شيء واحد وهو وجود الله.

- أن الإنسان قادر بعقله على إدراك أسس الفضائل وأصول الأخلاق العملية

و الإجتماعية و التحلي بها و إخضاع الشهوات الجسدية لحكم العقل من غير إهمال لحق الجسد أو تفريط فيه.

¹ مالك بن نبي مشكلة الافكار في العالم الإسلامي ،ترجمة بسام بركة وأحمد شعيبو، دار الفكر دمشق سورية 2002ص30

² الموقع السابق:توفيق فائز :تحولات حي بن يقضان لابن طفيل

- أن ما تأمر به الشريعة الإسلامية، وما يدركه العقل السليم بنفسه من الحق و الخير و الجمال يلتقيان عند نقطة واحدة بلا خلاف .

- أن الحكمة كلّ الحكمة هي فيما سلكه الشرع من مخاطبة الناس على قدر عقولهم دون مكاشفتهم بحقائق الحكمة و أسرارها وأن الخير كلّ الخير للناس هو التزام حدود الشرع و ترك التعمق.(1)

وقد ذكر الأستاذ " محمود قاسم " أن الغاية التي ذهب إليها ابن طفيل من رسالته هي تمجيد المعرفة الصوفية و تقديمه لها على كل معرفة سواها مجلة التاريخ (13416) (2)

و يقول الأستاذ أبو البندورة : ونضيف أن ابن طفيل قد أراد من خلال تناوله عالم ما وراء الطبيعة كشف الوصول إلى " الحكمة المشرقية " التي ذكرها ابن سينا ، كما أكد ذلك لابن طفيل نفسه في مطلع قصته " حي بن يقضان " باعتبار أن الحكمة المشرقية على ما يبدو من رأيه هي قيمة المعرفة الإسلامية.

و لقد كانت غاية ابن طفيل من كتابة هذه القصة هي بيان إتفاق العقل و النقل أي إتفاق الدين و الفلسفة، فحي هو العقل الباحث عن المعرفة إنطلاقاً من اللاشيء أي أنه بدأ بالبحث و عقله مجرد صفحة بيضاء ، و قد وصل في النهاية إلى نفس الحقائق التي أتى بها الإسلام فالدين حق و الحق لا يتعدّد و لهذا إتفق الدين و الفلسفة.(3)

¹ منتدى الثقافة العامة : تلقي الغرب لقصة حي بن يقضان لابن طفيل www.djelfa.info تاريخ الدخول

08/03/2017 على الساعة 15:09

² عبد الباسط بن يوسف الغريب : نقد القصة الفلسفية "حي بن يقضان" majeles.alukah.net تاريخ الدخول

14/03/2017 على الساعة 17:13

³ المرجع السابق: عبد الرحمان بدوي ،حي بن يقضان لابن طفيل

الفصل الثاني : قصة " روبنسون كروزو " لدانيال ديفو

المبحث الأول : حياة دانيال ديفو " daniel defoe "

المبحث الثاني : الكتابة القصصية عند دانيال ديفو دوافعها و أسبابها و

أهدافها

المبحث الثالث : خصائص الكتابة القصصية عند دانيال ديفو

المبحث الأول : حياة دانيال ديفو: daniel defoe

دانيال ديفو: daniel defoe روائي و كاتب بريطاني الجنسية ولد عام (1660) و توفي عام (1731) كاتب وصحفي و مؤلف كتيبات ،من أشهر رواياته رواية روبنسون كروزو.

عُرف عن ديفو أنه من أوائل المؤيدين للرواية ،كما أنه ساعد في نشر النموذج البريطاني مع الآخرين "كصموئيل ريتشاردسون" وهو من بين مؤسسي الرواية الإنجليزية كان كاتباً أنتج أكثر من 500 كتاب ،و كتيب و مجلة في مختلف المجالات بما فيها السياسية و الجريمة و الزواج و علم النفس و الخارقة للطبيعة و كان أيضاً من رواد الصحافة الإقتصادية (1)

ولد "ديفو" في شارع فور في رعية القديس في "جيلز كريبلجات" في لندن تاريخ مكان و ولادته غير مؤكدة ،تقول بعض المصادر أنها بين عامي (1659-1662-1660) و كان والده "جيمس ديفو" بائع شحم و عضو في شركة "وورشيلو" للجزارة شهد ديفو في بداية حياته بعض الأحداث الإستثنائية في التاريخ الإنجليزي .

ففي عام 1665 قتل ما يزيد عن 70000 بسبب طاعون لندن العظيم و في العام الذي يليه في حريق لندن الكبير لم يبق في الحي الذي يقيم فيه إلا منزل و منزلين آخرين في 1667 أبحر سبعة من الأسطول الهولندي عبر نهر التمز حتى نهر ميداوي .

توفيت والدة ديفو و إسمها آني و هو في العاشرة من عُمره .

تلقى "ديفو" تعليمه في مدرسة "جيمس فيشر" الداخلية في "بيكسهام لين" في "دوركينغ سري" وكان والده "مشيخين" وعندما كان في سن الرابعة عشر عاما إلتحق بأكاديمية المعارضة في "توينغا تون غرين" في لندن ،التي تديرها "تشارلز مورتن" وكان من

¹ ويكيبيديا الموسوعة الحرة <https://ar.wikipedia.org> تاريخ الدخول 23/02/2017 على الساعة 19:55

المؤمنين للحضور إلى الكنيسة" نوينغتون غرين" للموحدين وخلال هذه الفترة اضطهدت الحكومة الإنجليزية أولئك الذين إختاروا العبادة خارج كنيسة إنجلترا . (1)

دخل "ديفو" عالم الأعمال كتاجر عام عمل في صناعة الملابس ،السلع الصوفية العامة والنبذ كانت طموحاته كبيرة وكان قادرا على شراء العقارات و السفن ،رغم أنه كان نادرا ما يتخلص من ديونه ،في عام 1684 تزوج "ديفو" من "ماري" ابنة تاجر لندن بمقابل مهر 3.700 جنيه أسترليني ،والتي تعتبر كبيرة بمقاييس اليوم ،وقد سبب هذا الزواج إزعاجا له مع ديونه و الصعوبات السياسية ،لكنه إستمر 50 عاما ،وأنجبت له ثمانية أطفال .

في عام 1685 إنظم "دانيال ديفو" إلى ثورة "مونموت" المشؤومة و لكنه إكتسب العفو ونجا من محكمة الجنايات الدموية للقاضي "جورج فريز" .

في عام 1688 عندما توجت الملكة "ماري" وزوجها "ويليام الثالث" أصبح ديفو أحد الحلفاء المقربين "لويليام" و عميلا سريا .

أدت بعض السياسات الجديدة إلى الصراع مع فرنسا،وبالتالي ألحقت أضرار في العلاقات التجارية المزدهرة لديفو الذي قد فرض نفسه كتاجر .

و في عام 1692 ألقى القبض على ديفو بسبب ديون تقدر 700 جنيه بعد أن تم الإفراج عنه سافر إلى أوروبا و إسكتلندا ،وفي عام 1695 عاد إلى إنجلترا ،وإستخدم إسم "ديفو" بشكل رسمي بمثابة " مفوض لضرائب الزجاج" و المسؤول عن جمع ضرائب الزجاج في عام 1696 كان يدير مصنع البلاط ،وعاش في أبرشية شادويل سانت ماري . (2)

أصبح مهتما بالسياسة ،وكتب عددا كبيرا من المقالات عن الأحزاب التي دعمها في حياته ،غير إنتمائه في السياسة في مناسبات كثيرة كان ديفو ماهرا في علم الإقتصاد

John J.Richetti (2005) The Life Of Daniel Defoe Moladen - Blackwell Publishing
ISBN978-0-631-19529-0.¹

Richarrd west (1998) daniel defoe.the life and strange surprising adventures.new ²
york.caroll.craf.ISBN-978-0-7867

فكتب في 1968 منشورا ضمنه آراءه في دار المصارف و شركات النقل و مكاتب التأمين أصدر أول رواياته عام 1719 وهي حياة ومغامرات روبنسون كروزو الغربية المدهشة وقد أعتبرت رواية روبنسون كروزو أول رواية حديثة في الأدب الإنجليزي لكونها تميزت عن كل ما سبقها بحبك متواصل، تناول الأحداث و الشخصيات بانتظام و تناسب و تبع هذا الكتاب كتب أخرى بما فيها " قبطان سنجلتون" و "مول فلاندرز" في 1724 أشاد "ديفو" في مسقط رأسه منزلا فخما عاش فيه بقية حياته, و قد توفي في "مورفليد" في 24 افريل 1731.

مؤلفاته :

تصل عدد مؤلفات"ديفو" إلى نحو أربعمئة بين قصائد وأعمال تاريخية و رسائل و أدب و رحلات وكتيبات سياسية و دينية و روايات ،ومن أهمها الطريقة لجعل لندن أكثر المدن إزدهارا في الكون و خطة للتجارة الإنجليزية ،والتاجر الإنجليزي الكامل ومقالة حول المشروعات عام 1697،وهو كتاب عن التجارة و تظهر براعة"ديفو" مؤرخا في كتابه تاريخ إتحاد البرلمانين الإنجليزي و الإسكتلندي ،ومن رواياته :روبنسون كروزو robinson crusoe عام 1719 ،ومغامرات أخرى لروبنسون كروزو ومول فلاندرز عام 1722 و يوميات سنة الوباء 1722 ،وكولونيل جاك عام 1722.(1) وجولة في كلّ الجزر البريطانية العظمى عام 1824م.

واقترب من الرواية النفسية في روايته روكسانا عام 1724

وصور هزلة الإنسان ووحدته في روايته " تأملات جدية لروبنسون كروزو "

Ageneral history of the pyrates (1724 disputed)

Serious reflections of robinson crusoe(1720)

¹دنيال ديفو المعرفة : www.marefa.com تاريخ الدخول 24/02/2017 على الساعة 12:13

Hyman to thepilly(1703-1701

أهم رواياته :

-روبنسون كروزو 1719

-مغامرات أخرى لروبنسون كروزو 1719⁽¹⁾

Serous reflections during the life and surprising-

Adventures of robinson crusoe : with his vision of the angelick-
world 1720

-كابتن سينكلتون 1720

-يوميات سنة الوباء 1722

-كولنيل جاك 1722

-مول فلاندرز 1722

-روكسانة العشيقه المحظوظة 1724

-مذكرات كاقالير

-أطلنطس الكبرى 1711

-مذكرات فارس 1720

biography of daniel defoe (1659.1731)retrieved august 2013 ¹

روبينسون كروزو robinson crusoe :

روبينسون كروزو robinson crusoe هي قصة كتبها دانيال ديفو daniel defoe نشرت للمرة الأولى سنة 1719 تعتبر أحيانا الرواية الأولى في الإنجليزية هذه الرواية هي سيرة ذاتية تخيلية وهي تحكي عن شاب إنعزل في جزيرة ما وحيدا لمدة طويلة دون أن يقابل أحد من البشر، ثم بعد سنوات يقابل أحد المتوحشين و علمه بعض ما وصل إليه الإنسان من تقدم فكري و جعله خادمه و في نهاية القصة عاد روبنسون كروزو⁽¹⁾

ومعه خادمه إلى أوربا حيث العالم المتحضر، وهذه القصة تعني إلى الكثيرين حلم الإنعزال عن هذا العالم الظالم و الحياة في ظل الطبيعة الرحيمة بالنسبة لهذا العالم كما تظهر مدى التحضر الذي توصلت له الأمم الأوربية هذه.

العنوان الكامل للرواية الأصلية مترجما إلى اللغة العربية "حياة روبنسون كروزو اليوركي الملاح و مغامراته الغربية المدهشة " الذي عاش 28 سنة على جزيرة مهجورة على الساحل الأمريكي بالقرب من مصب نهر "أورانوكو" الكبير إثر تحطم سفينة على شاطئ "شيبرك" هلك جميع ركابها باستثناءه، وكيف تم تسليمه بطريقة على ذات مستوى الغرابة من قبل مجموعة من القراصنة.

ملخص قصة روبنسون كروزو robinson crusoe :

روبينسون كروزو robinson crusoe شاب إنجليزي يغادر إنجلترا في رحلة بحرية في أيلول عام 1651 مخالفا رغبات والده⁽²⁾ فيسطو قراصنة "سلا" على السفينة ويصبح كروزو عبدا لأحد المغاربة يتمكن كروزو من الهرب في زورق و يصادف قائد سفينة

¹ ماجدة حمود دراسات بلاغية و نقدية وأدبية حديثة. مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن. الإختلاف بين "حي بن يقضان و روبنسون كروزو" موقع جامعة أم القرى .

² مع الاطلاع على النسخة الانجليزية الاصلية : (my father a wise and grave man ,gave me serious and excellent counsel against what he foresaw was my design). « robinson crusoe » daniel defoe)

برتغالية من الساحل الغربي لإفريقيا ،كان طريق السفينة إلى البرازيل حيث هناك بمساعدة من الكابتن يصبح كروزو ملك لمزرعة .

ينضم كروزو إلى بعثة لجلب العبيد من إفريقيا ،لكنه غرق في عاصفة تبعد أربعون ميلا في البحر على مدخل نهر "أورانوكو" في 30 أيلول عام 1659 ،يموت جميع رفاق كروزو ويتمكن هو من جلب الأسلحة و الأدوات و التجهيزات الاخرى من السفينة قبل أن تتحطم و تغرق ،يقوم ببناء سور و مسكن في كهف ،يصنع رزنامة بواسطة صنع علامات بواسطة قطعة خشب (1).

يقوم بالصيد ويزرع الذرة ويتعلم صناعة الفخار ويربي الماعز يقرأ الإنجيل و يشكر الله على مصيره فلا شيء قد فقد منه إلا المجتمع .

يكشف كروزو أكلي لحوم البشر يقومون بزيارة الجزيرة ليقتلوا و يأكلوا السجناء في بادئ الأمر يخطط لقتل الهمج لفضاعتهم،لكنه يدرك أن ليس لديه الحق لعمل هذا لأنهم لم يهاجموه ولم يرتكبوا جريمة بمعرفته يحلم كروزو بأسر واحد أو إثنين بتحرير بعض السجناء وفي الحقيقة عندما استطاع سجين الهروب ،يساعده كروزو و يسمى رفيقه الجديد "جمعة" Friday،تبعا ليوم الأسبوع الذي ظهر فيه و يعلمه الإنجليزية و يحوله إلى المسيحية . (2)

تصل مجموعة من السكان الأصليين ويشاركون في وليمة مريعة و يستطيع جمعة

و كروزو قتل معظمهم و الإحتفاظ بإثنين منهم واحد هو والد جمعة و الثاني إسباني يخبر الإسباني كروزو أن مجموعة من الإسبان الذين غرقوا موجودون على هذه الجزيرة بيتكر خطة حيث يعود الإسباني ووالد جمعة ،والبقية إلى الجزيرة حيث بينون سفينة ليبحروا بها إلى ميناء إسبانيا قبل أن يعود الإسبان،تظهر سفينة إنجليزيةويسيطر الثوار على السفينة وينووا هجر قائدهم السابق على الجزيرة ،القائد و كروزو يستطيعان العودة

¹ روبنسون كروزو :ويكيبيديا الموسوعة الحرة : <https://ar.wikipedia.org> تاريخ الدخول 24/02/2017 على

الساعة :15:36

2 «picturing first costaway the illustrations of robinson crusoe vrlson and michoeleck jun 2012 the prinitive crusoe 1719.1780» أطلع عليه

بتاريخ 03.12.2017...

وأخذ السفينة ويتوجهون إلى إنجلترا وقد تركوا ورائهم ثلاثة من الثوار للإعتماد على انفسهم و إعلام الإسبان بالذي حدث ،يترك كروزو الجزيرة في 19 كانون الأول 1686 يسافر إلى البرتغال لإيجاد صديقه القديم ،القبطان الذي يخبره بأن مزرعته البرازيلية إهتم بها جيدا ،وقد أصبح غنيا .

يسافر برا إلى إنجلترا لتفادي الحوادث في البحر عن طريق إسبانيا و فرنسا ،أثناء الشتاء في جبال البرانس يراتد هو ورفقائه بهجوم من الذئاب الشريرة .

يقرر كروزو ترك مزرعته مع الكابتن البرتغالي و يترك أمواله مع صديقته الأرملة التي تعتبر كأم "لروبينسون كروزو" (1).

وللعودة إلى البرازيل يستلزم عليه التحول إلى الكاثوليكية ،لاحقا في حياة مابعد الزواج يصبح أرملا يعود إلى جزيرته لأخر مرة دون أن يكون خادمه جمعة معه ليعود جمعة مع والده و قبيلته ينتهي الكاتب بتلميح حول تكملة التي تفصل عودته إلى الجزيرة .

رغم أن القصة تعتبر من أعظم القصص في تاريخ الأدب الأوربي إلا أن هناك تشابها مربيا بين فكرتها و فكرة قصة "حي بن يقضان" لابن طفيل ،لكن أقرب إحتمال هو أنه إستقاها من حياة بحار علق في جزيرة مهجورة و يدعى "ألكسندر سيلكيرك" (2).

و القصة كانت مصدر لعدة قصص وأعمال تلفزيونية أخرى مثل طرزان و ماوكلي.

¹ مع الاطلاع على النسخة الاصلية (from these i touchd at the barazil... i sent seven women being such as i found proper for service or for wives to such as would take them)

² الأدب المقارن ،جامعة المدنية العالمية ،موقع المكتبة الشاملة

المبحث الثاني : الكتابة القصصية عند دانيال ديفو دوافعها و أسبابها

و أهدافها

1- تأملات في عالم الروبنسونات:

الروبنسونات reobinsonade: هي مصطلح يطلق على جنس أو نوع أدبي أصيل استمد أصلته منذ البدايات الأولى لحركة النثر، و الرواية العالمية و لايزال في الحداثة و التطور حتى يومنا هذا. (1)

بالطبع الروبنسونات ليست كلمة عربية بل تم نقلها عن الأداب الأوربية، وهي مشتقة أصلا من إسم رواية "لدانيال ديفو" daniel defoe الشهيرة "روبنسون كروزو" ظهر هذا المصطلح لأول مرة في كتابات الأديب و المفكر الألماني " يوهان جوتفريد شنابل" وقد يعود تعريب هذا المصطلح الغربي من " robinsonade" إلى الصيغة العربية "روبنسونات".

لا يبدو هذا التعريب غريبا بل يبدو واقعا منطقيا و منطلقا من أسس سليمة، خصوصا إذا ما نظر إلى الكلمة الغربية " robot" وصيغتها العربية "روبوت"

التعريف بالروبنسونات :

الروبنسونات هي تلك الأعمال الأدبية التي جاءت على نسق رواية " دانيال ديفو" الشهيرة " روبنسون كروزو" فكافة الاعمال الادبية التي تندرج تحت مسمى " روبنسونات" يوجد بينها وبين رواية دانيال ديفو شيئا من التشابه و التماثل و هناك عرفت الروبنسونات على أنها تلك الأعمال الأدبية التي جاءت كتقليد لرواية ديفو الشهيرة .

¹ محمد جهاد إسماعيل :تأملات في عالم الروبنسونات ،عصير الكتب www.book.juice.com تاريخ الدخول

23/03/2017 على الساعة 23:23

"روبنسون كروزو" لم تكن رواية تقليدية، بل كانت رواية خالدة وتحفة ادبية من الطراز الرفيع كانت ولا زالت بمثابة المركز أو النواة بالنسبة لمجرد "الروبسونات" تتشابه وتتداخل مع بقية أعمال جنسها وبقوة ليس في الأسلوب فحسب، بل أيضا في الأفكار

و الصور. (1)

الأفكار الرئيسية التي تدور حولها رواية "روبنسون كروزو" و التي صدرتها لبقية أعمال جنسها، هي بكل بساطة أفكار المغامرة و التشرد و الضياع و العزلة إذا الأبطال في جميع أعمال الروبسونات يجب أن يكونوا مغامرين أو مستكشفين أو مسافرين كما و يجب أن يمروا بتجارب التشرد و العزلة و الضياع.

البطل في رواية "روبنسون كروزو" يحمل نفس الإسم التي تحمله الرواية فكما كانت الرواية مركزا تنويريا لبقية كواكب مجرتها كانت الشخصية أيضا نموذجا يحتذى. "روبنسون كروزو" البطل و ليست الرواية كان مصدر إلهام لمؤلفي بقية أعمال الروبسونات، فكان بمثابة النهر العظيم الذي إشتقت منه الروافد و الجداول وكان النسخة الأصلية و الفردية التي إشتقت منها بقية النماذج و النسخ .

"روبنسون كروزو" كان مغامرا شجاعا عندما ركب البحر و شق طريقه في أعالي البحار، سقط في براثن الأسر و العبودية حرر نفسه من جديد أصر على إكمال المغامرة التي بدأها أبحر من جديد فكان على موعد مع العاصفة، مات كل من كان على ظهر السفينة لكنه بقي الناجي الوحيد تلقفته الأمواج من أتون الغرق، وقذفت به إلى شاطئ جزيرة ثانية في تلك الجزيرة ظل منبودا وحيدا و معزولا عن العالم لسنين طويلة يصارع الخوف و الوحدة، وتتربص به رمح المتوحشين أكلي لحوم البشر .

إن الصورة النمطية السائدة و الشائعة في جميع الروبسونات صورة البطل المغامر الذي ينتهي به المطاف إلى شواطئ أحد الجزر النائية و هناك تبدأ فصول المعاناة المتمثلة في

¹ الموقع السابق : محمد جهاد إسماعيل . تأملات في عالم الروبسونات

العزلة وإفتراد الأنيس ونقص الموارد وعوز الماء و الطعام ، وخطر أكلي لحوم البشر و الحيوانات المفترسة ، و المخلوقات الغريبة.

بمجرد وصول البطل أرض الجزيرة ، و إستكشافه لها و تحققه من كونه وحيدا فيها يبدأ البطل في البحث عن الحلول فيعمل كل حواسه و يستقر كافة قواه العقلية من أجل التغلب على المصاعب وذلك من خلال إنجاز المعادلة الصعبة المتمثلة في تسخير الموارد الشحيحة وأدوات التمدن النادرة الوجود على أرض الجزيرة ، من أجل النجاح في البقاء و الوصول إلى الحياة بمواصفات أفضل ،على أرض الجزيرة .

يظل البطل يحاول الإتصال بالعالم الخارجي وطلب النجدة من خلال إطلاق الإشارات ومحاولات لفت إنتباه السفن التي تمر بجوار الجزيرة ،او الطائرات التي تحلق من فوقها يظل البطل يطلق المحاولات حتى تنفك عزلته المميتة ويأتي من يحمله إلى أرض الوطن.

سيمات "الروبسونات":

تتميز الروبسونات بالأصالة و العراقة لأن رواية "روبسون كروزو" و التي تعد عماد هذا الجنس الأدبي يعتبرها الكثيرون أحد أقدم الروايات في تاريخ الأدب الإنجليزي على الإطلاق ،القول بأصالة الروبسونات يبداوا أمرا منطقيا إذا مانظرنا إلى حجم الإقتباس الرهيب الذي أخذته الروبسونات عن رواية "روبسون كروزو" و التي ظهرت قديما في عام 1719.(1)

أحد العوامل الأساسية التي ساعدت في ظهور الروبسونات في المشهد الأدبي العالمي كانت الكشوف الجغرافية العظمى و ظهور قطع جديدة من اليايسة المنسية ،وكذلك الرغبة التواقة عند الكثير من الاوربيين في إستكشاف هذه الأراضي الجديدة و الهجرة إليها وإستيطانها ربما أصابهم حينها الشغف الملتهب و هو البحث والإستكشاف

shinagel michaeled(1994)-robinson crusoe norton critical edition ISBN0-393-96452- 1
includes textual annotation and modern criticisms bibliograh

و بالطبع في ذلك الميدان كان يتنافس الأوربيين .

ظن الكثيرون ان الجغرافيا علم جامد غير متجدد ولا يأتي بجديد ،لكن بعد الكشف الجغرافية عادت للجغرافيا مكانتها وصارت في تلك الفترة أم المعارف لتصبح مصدر إلهام للعديد من المؤلفين والأدباء،ولتحفزهم على كتابة المزيد من الروبسنونات. (1)

الحركة الإستعمارية وتقدم وسائل المواصلات و العولمة الثقافية ،كانت فيما بعد بمثابة عوامل إضافية ساهمت بفعالية في إثراء كتابة الروبسنونات .

الفاحص و المتأمل مليا في شؤون الروبسنونات ،يصل وبكل سهولة إلى حقيقة لها نصيب كبير من الحقيقة وهي أن الروبسنونات تظهر بشكل أساسي في الأعمال النثرية وتظهر في الروايات الطويلة أكثر منه في القصص القصيرة .

تتواجد الإنسانيات داخل الروبسنونات بشكل كبير ،ويبدو لها نفوذ واضح فعلم النفس يتمثل في الحالة النفسية السيئة التي يجبها البطل،لحظة إنكساره مع تكسر الأمواج على شاطئ الجزيرة النائية .

حينها تتتاب البطل حالة من الإرباك و الخوف و القلق مما وصل إليه من المستقبل الغامض وكذلك ينتابه القنوط و اليأس و الندم كلما تراكمت سنين وحدته ،وعزلته على أرض الجزيرة أما الخوف فينتاب البطل حينما تواجهه هواجس الأشباح ،ومخاطر المتوحشين البدائيين و الحيوانات المفترسة . (2)

مع مرور الوقت يفقد البطل ثقته بنفسه ،ويكون السؤال الذي يراوده على الدوام :

هل يأتي أحد هنا وينقذني هل أعود إلى حياة الناس مرة أخرى؟

يصبح البطل في معزل عن المجتمع البشري ،بمجرد أن تطأ قدماه أرض الجزيرة يجد نفسه في مجتمع من النباتات و التضاريس الجامدة و ربما في أحسن الأحوال يجد بجواره قطيعا من الحيوانات البرية أو سربا من الطيور،في تلك الظروف الإجتماعية

¹ 10 : 30/03/2017 /22 www.jiffynotes.com (robinson crusee) main characters

² الموقع السابق

الصعبة يجد البطل نفسه معزولاً عن الجنس البشري مما يؤدي إلى تفاقم حالته النفسية السلبية ويجد نفسه أيضاً مفقداً لإمكانات التفاعل الاجتماعي مع الناس، فيجد نفسه محروماً من رؤية الأهل و غيرها .

لم يتوقف التداخل بين الروبسنونات و صنوف المعارف عند علمي النفس و الاجتماع بل يتجاوز هذا التداخل إلى علوم و معارف أخرى كالانترولوجيا ،والإيكولوجيا و السياسة و الفلسفة .

الروبسنونات كنصوص أدبية تأخذ في معظمها نمطا واقعيا فتبدوا قصصا مأخوذة عن وقائع و حقائق ففي الغالب يكون البطل الحقيقي أو الكاتب بحارا مغامرا أو مستكشف على ظهر سفينة . (1)

وخير برهان هنا هو الأصول الواقعية و الحقيقية لرواية "روبسنون كروزو" و التي نقلها كاتب الرواية "دانيال ديفو" عن بطل الأحداث الحقيقي "ألكسندر سيلكرك" (2) الذي مر بتجربة المغامرة و العزلة الحقيقة لسنين عديدة ،فوق أحد الجزر النائية في جنوب المحيط الهادي .

أحد سميات الروبسنونات الواضحة هي تلك الصور النمطية التي تتكرر في كل الأعمال وتتواجد في سائر الأحداث تقريبا كالجزيرة والمحيط والسفينة و القارب و الطبيعة الخلابة و المغامر الغربي و غيرها.

الكتابة القصصية عند دانيال ديفو daniel defoe:

حدث ذلك أواخر عشرينيات القرن الثامن عشر ،كان هناك كاتب أنفق عمره كله في العمل السياسي ونشر البيانات الاجتماعية وصراخ الاحتجاج ضد الأوضاع السائدة لكنه في ذلك الحين كان أربى على السنين من عمره وبدأ يحس أنه مقصر ماليا مع بناته

¹ الموقع السابق: robinson crusoe. Main characters

² الموقع السابق : ألكسندر سيلكرك

اللواتي بتن على وشك الزواج لكنه هو من ناحية لو يكن قادرا على توفير أية مساعدة لهن ولا حتى توفير الإمكانيات الضرورية لزواج أي منهن .

وهكذا أدرك الآن أن عليه أن يكتب نصا يروح و يعود عليه بشيء من المال ،إنطلاقا من أنه يجب أن يكون نصا تجاريا .

و هكذا راح الرجل بدأب يبحث عن موضوع يكون شعبيا و سهلا ممتعا و غريبا يجتذب القراء وفجأة وفيما وهو في حيرته عثر على ضالته .⁽¹⁾

صدر في لندن كتاب غريب من نوعه أصدره قبطان سفن يدعى " روجرز " يروي فيه حكاية دورانه بحريا حول العالم .

كان معظم فصول الكتاب من النوع المعتاد الذي كان منتشرا في ذلك الحين ،لكن فصلا محددًا في الكتاب إستوقف يومها الكاتب كما إستوقف ألوف القراء وأثار في إنجلترا ضجة ما بعدها ضجة .

كان ذلك الفصل يتحدث عما حدث حقيقة للبحار "سيلكيرك" الذي وجد نفسه مهجورا عام 705 في جزيرة " خوان فرنانديز " في بحر الشيلي وحيدا ضائعا،هذا البحار بعدما أمضى أربع سنوات في تلك الجزيرة وحيدا،عثر عليه القبطان " روجرز " وأنقذه وهو في حال وحشية تماما . وهذه الحكاية مروية كما في ذلك الكتاب سرعان ما أثارت مخيلة الكاتب تماما و دفعته إلى تصميم مشروع عنوانه و موضوعه " الحياة الغريبة والحافلة بالمغامرات الصاخبة التي عاشها روبنسون كروزو " البحار القديم من مدينة يورك

و الذي عاش ثمانية و عشرون عاما بالتمام والكمال في جزيرة مهجورة قرب السواحل الامريكية غير بعيد من نهر "أورانوكو" .

ويتحدث المشروع عن الكيفية التي وصل بها كروزو إلى هناك بعدما غرقت السفينة عليها ولم ينجوا بالحادث أحد غيره .

¹ إبراهيم العريس: روبنسون كروزو لدانيال ديفو www.alhayat.com تاريخ الدخول 28/02/2017 على الساعة

هذا المشروع عرضه الكاتب على الناشر (تايلور) الذي أعجب به على الفور أملا من الكاتب أن يمهده بالنص مكتوبا بسرعة وبقدر كبير من الإختصار كي يعمل على طبعه و توزيعه بأكبر عدد من النسخ في أسرع وقت ممكن،ولكن الكاتب ما لبث أن إستغرق وقته الكافي الذي مكنه من وضع رواية في 350 صفحة تروي تلك المغامرات .

وهكذا إنكب الرجل على العمل لينجز خلال أسابيع ، رآها الناشر طويل فيما رآها هو كافية ذلك العمل الذي سرعان ما صار واحدا (1) من أشهر الأعمال الأدبية في التاريخ صحيح أن الكاتب أثر ألا يضع إسمه على الرواية لكن السبب كان غير مايمكن إعتقاده كان السبب أن الرواية كتبت على شكل سيرة ذاتية بقلم صاحب العلاقة "روبنسون كروزو" نفسه . ما إستدعى تغييب الكاتب الأصلي وهو ما عاد هذا وفعله بالنسبة إلى عدة كتب كتبها لاحقا على الشاكلة نفسها: سيرة ذاتية لشخصيات وهمية " مول فلاندرز". "ليدي روكسان" ... وغيرها (2)

نعرف طبعا أن الكاتب المذكور هو دانيال ديفو daniel defoe ونعرف أن الرواية حققت فور صدورها نجاحا مدهشا ، وإنها على مدى العقود التالية قلدت عشرات المرات وأن "دانيال ديفو" نفسه كتب تكملة لها ،ونعرف أيضا أن نوعا من سوء التفاهم جعل هذه الرواية تعتبر منتمية إلى أدب الصغار ،وكان ينبغي إنتظار كتاب "إميل" لجان جاك روسو للمقارنة وإدراك الأبعاد الحقيقية لرواية تمكنت عبر رسم صورة شخصيتها الرئيسية من رسم صورة ما لتطور البشرية نفسها ،وتعمقت في دراسة قدرة الإنسان على وعي ذاته وإقامة مجتمعه الخاصة ،غائصة في مسائل مثل الإيمان و التربية

و الصراع من أجل البقاء وأكثر من هذا وهنا الإحالة إلى روسو rousseou علاقة الإنسان بالطبيعة ،وفي شكل أكثر تحديدا الصراع الذي يمكن أن يخوضه الإنسان ضد عنت الطبيعة وقدرته هو على تسخير إمكانيات هذه الأخيرة لمساعدته على العيش .

¹ الموقع السابق : إبراهيم العريس (روبنسون كروزو لدانيال ديفو)

² biography of daniel defoe(1659-1731)retrieved .august 2013

ما يحيلنا إلى القصة الحضارية بما في ذلك قضية التواصل و اللغة و طبيعي أن نشير إلى ان "ديفو" في سبل التعبير عن هذا جعل لكروزو ،خلال مرحلة لاحقة من إقامته في الجزيرة رقيق هو "جمعة" Friday، كان أصلا من أكلي لحوم البشر وكان رفاقؤه الوحشيون يستعدون لإتهامه حين أنقذه "كروزو" وبدأ يعلمه اللغة والدين⁽¹⁾ ويدخله في قلب الحضارة .

من ناحية تسلسل أحداثها تروي "روبنسون كروزو" robinson crusoie إذا حكاية ذلك الشاب الذي كان تواقا إلى المغامرة فأبحر على رغم نصائح أهله الناهية ،لكنه يشرف على الغرق في "يارماوت" ثم يبحر من جديد ،وهذه المرة يأسره قرصان من سالي و يقتاده إليها حيث يبقى عامين في الأسر يهرب بعدها معه عبد إفريقي فتى يدعى "خوري" بعد ذلك تكون مرحلة يقيم فيها روبنسون كروزو في البرازيل حيث يتحول إلى مزارع وهنا يخطر له أن تجارة الرقيق أربح ،ولكنه فيما يسعى إلى هذا ،تغرق سفينة قرب مصب نهر "أورينوك" ويكون روبنسون كروزو الناجي الوحيد فيسبح حتى يصل إلى تلك الجزيرة التي سيعيش عليها سنواته الطويلة .⁽²⁾

في البداية يتمكن روبنسون كروزو من أن ينقل من حطام السفينة الأسلحة والمعدات التي سيحتاج إليها في إقامته ثم يبني لنفسه كوخا يقيم فيه في الوقت الذي راح يرتب حياة وحدته كل أمل في أن تنقذه من ذلك المصير لكن السنوات تمر و السفينة لاتأتي ،بيد أن روبنسون كروزو لا يخلد طبعا إلى اليأس والهدوء ،بل يمعن في تنظيم حياته موفرا لنفسه كل ما هو في حاجة إليه من ضروريات الحياة ،ونراه يبقى على تلك الحياة رغم عداة الطبيعة له إذ تجابهه بزلازل و طوفانات.

¹ دانيال ديفو . روبنسون كروزو-ترجمة مروة ماهر الحق مراجعة عبد الغني نجم جمهورية مصر العربية القاهرة

الطبعة الأولى سنة 2013 ص،29

² الموقع السابق: ابراهيم العريس

فإذا أضفنا كل هذا الى وحدته المطلقة يمكننا تصور مراكز عليه " دانيال ديفو " وأثار إعجاب القراء من قدرة الإنسان على التحكم بمصيره و إستنباط وسائل بقائه ، غير أن وحدة روبنسون كروزو لن تطول ، إذ هاهم أكلو لحوم البشر يغزون الجزيرة . (1)

عام بعد ما أسرو فتى عثر عليهم روبنسون كروزو وهو على وشك أن يأكلوه، كما أشرنا ينفذه روبنسون منهم ويبدأ بتحويله من "وحش طيب" إلى إنسام طيب ، فيعلمه أولاً كيف يكف عن أكل لحوم البشر ثم كيف يرتدي ثيابا وكيف يعبد الله و يؤمن .

و يتحول الى إنسان متحضر بفضل اللغة غير أن سيرة روبنسون كروزو مع "جمعة" لاتطول إذ سرعان ما يعود أكلوا لحوم البشر ومعهم أسيران جديان أحدهما والد جمعة وبعد ذلك تأتي سفينة أوروبية تنفذ روبنسون ورفاقه ويعود هو إلى العالم المتحضر بعد غياب 28 عام (ثمانية وعشرون عاما) ليجد انه بات من أصحاب الثراء ، حيث أن أصدقائه إستغلوا لحساب مزرعته في البرازيل ، وينتهي به الأمر إلى أن يتزوج في إنجلترا ويعيش سعيدا .

بعد النجاح الذي حققته رواية روبنسون كروزو ، كتب ديفو تنمة لها تروي مغامرات هذا الأخير عبر تجواله في الكثير من البلدان ، كما كتب روايات أخرى عدة فكان بذلك الكاتب الوحيد الذي لم تسطع مواهبه الأدبية تصيبه الشهرة إلا بعدما تجاوز الستين من عمره ودانيال ديفو من مواليد عام 1660 ولد في لندن إينا لجزار ، منذ صباه حلم أن يكون سياسيا ووزيرا لكنه حين تخرج في كلية "مورتون" و تزوج عمل في التجارة من دون أن يحقق نجاحا وخاصة السياسة عن طريق إصداره الكتب الغاضبة ، ما أوقعه في الكثير من المشكلات خصوصا حين شارك ذات مرة في ثورة تجول ديفو خلال شبابه في بعض البلدان الأوروبية ثم أودع السجن ، وحين تجاوز سن الشباب أدرك كما أشرنا أعلاه إلى أنه قد بات عليه الآن الإهتمام بعائلته فراح يكتب "روايات المغامرات" تلك

1 الموقع السابق : إبراهيم العريس : روبنسون كروزو لدانيال ديفو

2 المرجع السابق : دانيال ديفو روبنسون كروزو ص 65

وقد بلغ عدد ما كتبه خلال السنوات الإثنتا عشر الأخيرة من حياته عشر روايات حققت له الشهرة و الثروة وتركت للإنسانية أعمالاً خالدة .(1)

عرف " روبنسون كروزو" في ثقافتنا بأكثر من وجه : الأول أدبي حيث رددت الثقافة العربية الكلام النقدي الغربي القائل بأن هذه الرواية تعتبر إلى جانب بضعة أعمال روائية للكاتب نفسه ولغيره من الكتاب في الغرب أيضا ،من الأعمال التأسيسية في حقل الرواية والثاني ثقافي زعم فيه عدد من النقاد العرب أن "دانيال ديفو" daniel defoe تأثر بالعمل الفلسفي الشهير و العربي المسمى "حي بن يقضان" للفيلسوف العربي ابن طفيل .(2)

على الرغم من أن اسم هذه الشخصية الروائية التي ابتكرها الكاتب الإنجليزي دانيال ديفو في القرن الثامن عشر معروف و متداول في الثقافة العربية منذ أول إيصال لها بالثقافة الغربية ،فإن القارئ العربي لم يطلع على الرواية ولم تترجم من قبل كاملة إلى اللغة العربية إلا هذه السنة .

وقد عرف "روبينسون كروزو" robinson crusoie في ثقافتنا بأكثر من وجه الأول أدبي كما ذكرنا سابقا ،والثاني ثقافي حيث قال بعض النقاد بأن دانيال ديفو تأثر بالعمل الفلسفي " حي بن يقضان" لابن طفيل وهو عمل ترجم إلى اللغات الأوروبية منذ القرن السادس عشر ،وظهر تأثيره في عدد من الأعمال القصصية و الروائية و الغريبة ولعل السبب الذي دفع بعض النقاد العرب إلى إدعاء مثل هذا التأثير،وهو التشابه الظاهري بين قصة روبنسون كروزو وحي بن يقضان ،فكلتا الشخصيتان تعيشان وحيدتان في جزيرة معزولة وبعيدة عن المجتمع البشري وكتاهما تعمالان على إكتساب أسلوب للعيش وإستمرار الحياة في وحدتهما إلى جانب إكتسابهما المعارف و الخبرات الحياتية الكفيلة بتأكيد وجودهما كإنسانين ،غير ان الدكتور محمد غنيمي هلال ينفي ذلك

¹ daniel defoe.robinson crusoie introduction by virginia woolf .the moden ibrary new york painted in the united states of america 2001 p :280

² ممدوح عزام : "روبينسون كروزو" كاملة بالعربية بعد أكثر من قرنين من كتابتها دمشق www.archive.awssat.com العدد 10522 تاريخ الدخول 28/02/2017 على الساعة 12:14

في كتاب "الأدب المقارن" ويقول: لا نعتقد أن لقصة حي بن يقضان تأثيرا في قصة روبنسون كروزو، ويرى أن الشبه الظاهري ظئيل بين قصة (1) (روبنسون كروزو)

و (حي بن يقضان) أما الوجه الثالث الذي قدم فيه روبنسون كروزو لنا فقد جاء من طريق غير طريق الأدب وهو طريق السياسة فقد نظر إليه في أدبيات السياسة على أنه السلف الروائي للسلوك الإستعماري للغرب بأسره، وذلك من خلال إستعماره للجزيرة التي لجأ إليها بعد غرق السفينة في البحر، على أن رحلته الأصلية على ظهر السفينة انما كانت بغرض تجارة الرقيق أيضا، إضافة إلى ذلك أنه إستبعد في الجزيرة واحد من سكانها الأصليين وسماه "فرايدي" ورفض أن يعتقه فيما بعد إلا إذ أعلن مسيحيته. (2)

وهناك من فسر شخصية روبنسون كروزو تفسيراً إقتصادياً، ورأى أنه مثل تطلعات البرجوازي الصاعد، بكل ما تتضمنه من رغبة في السيطرة على وسائل الإنتاج وأدواتها وفي الفردانية و التوثيق المالي وخوض عمليات البيع و الشراء بنجاح و الجشع.

اللافت في "دانييل ديفو" daniel defoe أنه بدأ الكتابة الروائية في سن متأخرة جدا ففي الستين من عمره قرر أن يكرس حياته لتأليف الكتب، فكانت رواية "روبنسون كروزو" من بين افضل هذه الاعمال لكن مصير هذه الأخيرة وفي زمامه كانا متفاوتا فالنقاد الذين لم يحبوها أجمعوا على أن كاتبها تافه و قديم الثقافة وسيء السمعة ونظر إليه النقاد الفكتوريون فيما بعد على انه سلف وقح للرواية عاجز عن التمييز بين الحقيقة و الخيال ويغيب الهدف الجدي لديه ليحل مكانه الكذب وإختيار الاوغاد كأبطال للرواية غير أن القراء في زمانه قد إستقبلوا الرواية بكثير من الإحتفال فبيعت بشكل جيد وطبع منها في العام الأول أربع طبعات فشجع هذا البيع السريع للرواية على القرصنة، وأعيد تأليف الرواية من قبل عديدين خاصة أن الكتاب ذو صبغة عاطفية و الطبقات الخاصة

¹ الموقع السابق. ممدوح عزام

² فرايدي: إسم العبد الذي إلتقى به روبنسون كروزو ويقصد به جمعة باللغة العربية

بالأطفال مستفيدين من العناصر الأكثر تشويقاً في الرواية (1) وهي المغامرات، و السفر في البحر و التنقل في الجزر المجهولة ، و الغيبة الغرائبية.

ظن كثير من النقاد أن " روبنسون كروزو " هو دانيال ديفو نفسه ولكن وعلى الرغم من أوجه الشبه الكثيرة بين الكاتب و الشخصية ، فإنه صار من المعروف أن الكاتب إستقى روايته من قصة بحار حقيقي يدعى " ألكسندر سيلكرك " alexander selkirk كان على متن سفينة قراصنة مولتها الحكومة البريطانية وأبحرت بهدف إبعاد السفن البرتغالية والإسبانية ولقد قام القبطان بالرد على بعض التذمر في السفينة بقسوة بالغة (2) إستدعت تدخلا من قبل نائبه سيلكرك ، وفي مرة أخرى عارض "سيلكرك" إبحار السفينة بسبب عدم صلاحيتها ، وإنتهت المجادلة بأن ترك "سيلكرك" على الشاطئ مع قطته في جزيرة خالية من البشر .

وبعد أربع سنوات أنقذته حملة أخرى وعادت به إلى موطنه ، حيث دون رحلته ومغامراته و القبطان الذي أنقذه ، ويؤكد النقاد ان دانيال ديفو لم يأخذ سوى تلك الحادثة من القصة الحقيقية للبحار "سيلكرك".

صور دانيال ديفو شخصية روبنسون كروزو تصويراً رومانسياً وإستطاع بفضل التقنيات الجديدة التي أدخلها على جسد الحكاية ، أن يخلق صراعاً داخل شخصية بطله مركزه وهو الإختيار بين الوصايا الدينية و الدوافع الإنسانية ، وهذا ما يمكن أن نسميه أحد أشكال التوتر الدرامي الذي هو أصل أي فعل روائي ، ومن هنا إعتبر النقاد أن روبنسون كروزو واحد من النماذج الأصلية للرواية الحديثة بل إن الرواية (3) أصبحت بفضل ديفو فناً شعبياً رفيعاً وقد أفرد لها "إيان واط" في كتابه الشهير "نشوء الرواية " فصلاً كاملاً أشار فيه إلى أن تراث الرواية قد بدأ بهذا العمل ، وأجهز به على علاقات النظام الاجتماعي التقليدي ولإستقطاب الإنتباه إلى سnoch الفرصة لإقامة شبكة من العلاقات الشخصية وفق نمط جيد واع كما أن هذه الرواية قد أسست إلى جانب غيرها

¹ الموقع السابق :ممدوح عزام "روبنسون كروزو كاملة بالعربية

² daniel defoe robinson crusoe p22

³ المرجع السابق :بكار يوسف و خليل الشيخ -الأدب المقارن ص183

من الروايات العظيمة واحدة من الحكايات الأساسية للأساطير الغربية، أهمها لهاث البطل خلف إحدى الشهوات التي يتميز بها الإنسان الغربي، وما عبر عنه روبنسون كروزو هو الخسارة على الإنديفاع عندما إعتمادا على النفس و التمرکز الشديد على الذات مما يحكم عليه بالعزلة. (1)

نسب إلى الروائي الإنجليزي "دانيال ديفو" في مطلع القرن الثامن عشر رأيا مؤداه أن الرواية الحقة هي التي تبرز الحقيقة إلى الوجود، وترويها كما هي "أما تقديم قصة من الخيال فهذا جريمة جد فاضحة، وهو نوع من الكذب الذي يفتح ثغرة في القلب تنتقد منها الأكاذيب بعد إستمرائها".

وليس يمكن فهم هذا التلازم بين الرواية و الحقيقة، إلا في ضوء فهم وظيفة السرد في القرن الثامن عشر فإن صح قوله فهو تأكيد للوظيفة القائلة بالتلازم بين الواقع و صورته السردية وهو فضلا عن ذلك يعيد التقدير للروائيين الذين أتهموا بأنهم منقطعون عن واقعهم ولكي يقع قبولهم في المجتمع فينبغي درء تهمة الأخلاق عنهم.

غير ان "ديفو" رفع الامر إلى مستوى إقتراف جريمة حينما إعتبر التخيل جناية تفتح ثغرة في القلب تتسرب منها الأكاذيب فتفسد نقاؤه، فمستودع الحقائق هو سريرة صافية تنفذ إليها تلك الحقائق بيسروما أن تتطفل المختلة بأكاذيبها على القلب حتى يستمرئ إقتراءاتها فلا يعد مستودعا للصدق، ولا أعظم خطرا من ذلك و الحال فإن "ديفو" عاش في الحقبة التي إزدهرت فيها التخيلات السردية (2)

لـ"سويفت" "رتشاردسون" فيلينج" وحتى "سيرن" وهي حقبة إزدهر فيها الخيال الذي وردته عن سرود الرومانس القديمة .

ومادام "ديفو" قد أنكر ذلك فيكون قد مهد الطريق أمام الرواية القائمة على البحث السردية فروايتها "روبنسون كروزو" عرضت تمثيلا سرديا لمغامرة رجل أبيض في

¹ المرجع السابق: بكار يوسف و خليل الشيخ ص 186

² عبد الله ابراهيم: رواية من التخيل إلى البحث السردية - دانيال ديفو جريدة الرياض www.alreyadh.com تاريخ الدخول 15/03/1017 على الساعة 21:20

كيفية تملك جزيرة في بلاد نائية من أجل محو خطيئة إفترفها ،قد شنت بذلك لفكرة الرجل المتحضر في عالم بدائي سيظل على حاله إن لم يدرج في التاريخ الإستعماري.

من الصحيح أن فكرة الإنقطاع لنحو من ثلاثة عقود في جزيرة نائية قد تناسب الخيال غير ان الغاية منها أبعد من ما تكون عن التسلية التي كانت المختلة تتفنن من قبل في إظهار أشكالها فبرواية "روبنسون كروزو" صار ينبغي الإلتفاف إلى وظيفة جديدة للسرد قوامها البحث فيما ينبغي أن تقوم به الإمبراطورية ،وما تزرعه من أمال عظيمة في شعبها وراء البحار حتى لو كان النموذج التمثيلي لذلك شخص ضال وجد نفسه مرميا على شاطئ جزيرة مهجورة ،فوظيفة السرد الإستعماري بدأت من هذه اللحظة إذ ينبغي أن يغري الرجل الأبيض ببلوغ أطراف العالم وذلك وظيفة تتصل بالعقل أكثر مما تتصل بالمخيلة.(1)

أسلوبه الأثري و تأثيره :

الجديد الذي أدخله ديفو على الأدب الإنجليزي هو تصويره للحياة اليومية إذ أنه لم يعترف يوما أن ما يكتبه هو من نسج الخيال بل سرد للحقائق ،وعلى الرغم من أن الأسلوب الصحفي يطغى على كتاباته ،إلا أنه يعتمد التنوع في العرض والبساطة في الأسلوب .(2)

تركت حياة ديفو بصمتها على أدبه وقد كان تنقله بين قاعات القصور و جدران السجون سجلا لظروف عصره وتجسد رواياته فكرة الخوف من الأخطار ،والبحث الدائم عن الأمان الذي يأتي متأخرا فالبطل كروزو يتلقى الغفران و الصفح عند عودته تائبا عن خطيئته المتمثلة في عصيان والديه ،وبالمثل فإن الكولونيل "جاك" يرتكب الأخطاء بإستمرار لكنه ينجوا من عاقبة أفعاله ،أما في "مول فلاندرز" فإن البطلة تكافح كي تجد لنفسها مكانا في مجتمع يحرّمها من العيش الكريم ،ويدفعها إلى السرقة و الدعارة.

¹ الموقع السابق :عبد الله إبراهيم الرواية من التخيل إلى البحث السردى

² روبنسون كروزو لدانيال ديفو المعرفة www.marefa.org تاريخ الدخول 14/03/2017 على الساعة 15:15

أدخل ديفو إلى الرواية الإنجليزية إهتماماً بحياة الطبقات الدنيا من المجتمع في أثناء عرضه سيرة حياة الأشخاص الخارجين عن القانون، وتأثير البيئة في تشكيل الفرد والعلاقة بين السلوك و دوافعه، وتتجلى مقدره "ديفو" الروائية في شخصياته وفي تفاعل بعضها بالآخر، وهو ما تعده "فرجينيا وولف" الميزة الأساسية لأي كاتب روائي أما نقطة الضعف في روايته هي إفتقارها إلى نظام أو بناء متماسك.⁽¹⁾

تجمع هذه الشخصيات أشياء كثيرة أهمها أنها شخصيات من صنع الخيال الأدبي، وهي أيضاً شخصيات تحظى بحمولات رمزية قوية في الثقافة الإنسانية عامة .⁽²⁾

منها شخصيات كثيرة فاقت شهرتها شهرة كاتبها الذين أبدعوا ملامحها، فكثيرون يعرفون تفاصيل عن شخصية المحقق "شارلوك هولمز" والمحارب "دون كيشوت"

والعراب "كورليونوني" و عاشق الغابة "طرزان" و الباحث عن الحقيقة "حي بن يقضان" وغيرها من الشخصيات، لكن قليلون جداً يعرفون مبدعها على التوالي :

أرثر كونان دويل سيرفانتيس، ماريو بوزو، إدغار رايس بورس وابن طفيل .

" روبنسون كروزو" هو الشخصية الرئيسية في قصة كتبها دانييل ديفو daniel defoe نشرت للمرة الأولى سنة 1719 تعتبر أحيانا الرواية الأولى في الإنجليزية هذه الرواية هي سيرة ذاتية تخيلية وهي تحكي عن شاب إنعزل في جزيرة ما وحيدا لمدة طويلة دون أن يقابل أحد من البشر، ثم بعد عدة سنوات يقابل أحد المتوحشون و يعلمه بعض ما وصل إليه الإنسان من تقدم فكري وجعله خادمه، وفي نهاية القصة عاد "روبنسون كروزو" robinson crusoe ومعه خادمه إلى أوروبا، حيث العالم المتحضر .

هذه القصة تعني للكثيرين حلم الانعزال عن العالم الظالم و الحياة في ظل الطبيعة الرحيمة بالنسبة إلى هذا العالم، كما تظهر مدى التحضر الذي وصلت له الأمم الأوروبية .

¹ daniel defoe.robinson crusoe p65

² المرجع السابق: طاهر أحمد مكي في الأدب المقارن دراسات نظرية و تطبيقية ص122

يغادر "كروزو" إنكلترا في رحلة بحرية في أيلول عام 1651 مخالفا رغبات والديه ويسطوا القرصنة على السفينة ويصبح كروزو⁽¹⁾ عبدا لأحد المغاربة، يتمكن من الهرب في زورق، ويصادف قائد سفينة برتغالية من الساحل الغربي لإفريقيا، كان طريق السفينة إلى البرازيل حيث هناك يصبح "كروزو" وبمساعدة من الكابتن مالكا لمزرعة

ينضم كروزو إلى بعثة لجلب العبيد من إفريقيا، لكنه غرق في عاصفة تبعد أربعين ميلا في البحر على مدخل نهر "أورانوكو" في 30 من عام 1659، يموت جميع رفاق كروزو ويتمكن هو من جلب الاسلحة و الأدوات و التجهيزات الأخرى من السفينة قبل أن تتحطم وتغرق ويقوم ببناء سور في مسكن وكهف، يصنع رزنامة بواسطة⁽²⁾

صنع علامات بإستعمال قطعة خشب، يقوم بالصيد و يزرع الذرة و يتعلم صناعة الفخار و يربي الماعز يقرأ الإنجيل و يصبح متدينا فجأة و يشكر الله على مصيره فلا شيء قد فقد منه إلا المجتمع.

يستفتح "دانييل ديفو" daniel defoe روايته بالتعريف بنفسه فيقول: "اسمي روبنسون كروزو ولدت في عام 1632 في مدينة يورك من عائلة عريقة... عندي اخوان..."⁽³⁾ و يقوم بوصف البيئة التي نشأ فيها بطل الرواية، فيخبرنا على لسان "روبنسون كروزو" robinson crusoe أنه نشأ في عائلة تنتمي للطبقة الوسطى وأنه كان الإبن المتبقي لدى والديه بعد أن فقدا أخويه في الحروب و الأسفار، لذلك فقد كان والداه يحاول إقناعه بشتى الوسائل ألا يسلك الطريق التي سلكها أخواه حتى لا يلاقي المصير ذاته، خصوصا أنه لا يوجد أي داع لكي يقدم على أمر كهذا، إذ أنه لا يقدم على المغامرة إلا صنفان من الرجال .

¹ المرجع السابق: دانيال ديفو روبنسون كروزو ترجمة مروة ماهر الحق ص10

² المرجع نفسه ص27

³ المرجع السابق: دانيال ديفو روبنسون كروزو ص 4 مع الاطلاع على النسخة الانجليزية :

« I was born in the year 1632 in the city of york of a good family tho not that country ...
I had two elder brother ... »

الأول هو الإنسان الذي لم يجد له مكانا في المجتمع الذي ولد فيه أما الثاني فهو الإنسان الذي يشعر بأنه قد خلق لتحقيق غايات عظيمة .

ركب روبنسون كروزو ظهر سفينة متوجهة إلى لندن ، لكن البحر سرعان ما بدأ يهيج بشكل مرعب مما حمله على الإعتقاد بأن ما حدث هو عقاب إلهي على عقوق لوالديه وبدأ يشعر بالندم و توبيخ الضمير .⁽¹⁾

لذلك فقد أقسم بأن الله لو أنجاه من هذه المحنة ولو وطأت قدماه اليابسة مجددا فإنه سيتوجه مباشرة إلى منزل والديه ولن يظأ سفينة أبدا مادام حيا ، لكن سرعان ما تناسى الوعود التي قطعها و الإيمان الغليظة التي أقسمها ، بمجرد أن هدأت العاصفة .

وكان شيئا لم يكن وإستطاع خلال بضعة أيام أن يحقق إنتصارا كاملا على ضميره بأفضل طريقة يستطيع من خلالها أي مذنب أن يسكت ضميره مستعينا بالخمير ، وصحبة السوء لذلك فإن التحذير الثاني سرعان ما يصله على شكل عاصفة أشد قوة من العاصفة الأولى حيث أدت العاصفة في هذه المرة إلى دمار السفينة بشكل كامل وأدت كذلك إلى عودة الأفكار التي كان يسعى جاهدا كي يتخلص منها ، لكن ثمة قوة خفية كانت تدفعه نحو نهايته بعينين مفتوحتين وكان لايقوى على مقاومتها .⁽²⁾

وعندما كانت الفرصة تسنح له للرجوع ، كان الكبر يمنعه من العودة إلى جادة الصواب وبعد سنوات طويلة من السفر في البحار ، أنتت ساعة ذلك الإنسان اليائس في الأول من يونيو من عام 1659 ، وهو اليوم ذاته الذي هرب فيه من منزل والديه منذ ثمانية أعوام .

ففي هذه المرحلة تتحقق دعوة والده ، حيث كان الناجي الوحيد من جميع ركاب السفينة ليجد نفسه على ظهر جزيرة نائية و صامتة ، ومنذ هذه اللحظة بدأ التحول الكبير في حياة هذا الإنسان .

¹ المرجع السابق دانيال ديفو (روبينسون كروزو) ص8-9

² الموقع السابق: روبنسون كروزو لدانيال ديفو المعرفة

لقد حولت المحنة القاسية روبنسون كروزو من إنسان جاحد لا يعرف قيمة النعم الكثيرة التي منحها الله له، إلى إنسان يبحث عن دواعي الشكر الكامنة في أبسط الأمور، ويرى العناية الإلهية تحيط به من كل جانب، فعندما يرى نبات الشعير ينبت على الجزيرة في مناخ غير مناسب لنمو الحبوب، ودون أن يجد تفسيراً منطقياً للكيفية التي وصلت بها بذوره إلى الجزيرة بدأ بالإعتقاد بأن هذا النبات قد نمت على الجزيرة دون بذور

و بمعجزة خالصة من الله تعالى، حتى يجد ما يقتات به في هذا المكان الموحش لذلك فقد بدأت عيناه تذرفان الدمع الغزير وحتى بعد أن تذكر انه قد سبق له أن نثر حبات الشعير في ذلك المكان عفو الخاطر دون أن يخطر بباله أن يحاول زراعتها، فإن إيمانه بالعناية الإلهية لا يغادره، لأن بقاء تلك البذور سليمة، بعد أن أتت الجرذان على مخزون الحبوب ومن ثم قيامه برميها في ظل صخرة عالية هو أمر معجز فعلاً.⁽¹⁾

لأنه لو كان رماها في أي مكان آخر لتعرضت للجفاف و التلف ولما أصبحت بعد أربعة أعوام من التكاثر مصدر الخبز الوحيد بالنسبة إليه بعد كل ذلك ها هو الآن يتذوق مرارة الندم لأنه لم يقدر النعمة التي منحتها إياها الأقدار، وعندما وضعته في موقع يتمناه أي إنسان فهو لم يقتنع بنصائح والديه، وهما اللذان رفعا مكانته في الحياة و جعلوا كل شيء ميسراً له، و في غمرة مشاعر الألم و الندم تلك يأخذ بالتساؤل عن ماهية ماجرى له، فإذا كان الله تعالى قد خلق كل الموجودات، فهذا يعني أنه يتحكم بها وبكل ما يتعلق بها، لأن من يستطيع أن يخلق كل تلك الموجودات، قادر بالتأكيد على أن يسيطر عليها بشكل مطلق وقادر على أن يخضعها، وإذا كان الأمر كذلك فلا شيء يحدث في الكون دون علمه وبغير مشيئته وبما أنه ما من شيء يحدث دون علمه، فهذا يعني أن الله تعالى يعلم أن روبنسون كروزو هو الآن على هذه الجزيرة، وبما أنه ما من شيء يجري بغير

¹ الموقع السابق : دانيال ديفو روبنسون كروزو. المعرفة

مشيئته فهذا يعني أنه قد شاء له هذا الأمر وهذه النتيجة التي توصل إليها منحته الكثير من السكينة الداخلية . (1)

لكن ذلك لم يمنعه من الإلحاح في سؤال نفسه عما فعله حتى يستحق مثل هذا العقاب البالغ القسوة و سرعان ما تأتيه الإجابة من أعماق نفسه "أيها البائس هل تسأل عما فعلت أنظر إلى حياتك الماضية التي أسأت تمضيئها ثم إسأل نفسك عن الإثم الذي لم ترتكبه" (2) وبمجرد أن تتحسن صحته يذهب بطل الرواية مباشرة لقراءة الكتاب المقدس ،حيث تقع عيناه أول ما تقع على هذه العبارة " ادعني في اليوم العصيب و سوف أنجيك وعندئذ فإنك ستمجدني "وكان هذه العبارة كانت رسالة إلهية موجهة له هو بالذات كي تضعه على بداية الطريق لكنه ما أمعن التفكير في هذه العبارة لاحقا إنطلاقا من تفكيره الديني المحدود رأى أن كلمة الخلاص لا معنى لها بالنسبة له فهي شيء بعيد جدا إن لم يكن مستحيل التحقق خصوصا انه أمضى سنوات طويلة على هذه الجزيرة دون وجود أية بارقة أمل بالنجاة فهي بعيدة عن خطوط الملاحة البحرية .

كما انها محاطة بتيارات مائية شديدة القوة مما جعل من مغادرتها على متن قارب صغير عملية شبه مستحيلة .

وهنا يقارن بطل الرواية قناعاته بإستحالة النجاة مع تشكيك بني إسرائيل في مقدرة الله على أن ينزل لهم مائدة في البرية .

¹ المرجع السابق :طه ندا الأدب المقارن ص46

² المرجع نفسه ص48

فيحدث نفسه قائلاً " ألم أنجو بشكل عجائبي من المرض؟" (1) ألم أنجو من وضع عصيب و مخيف؟ وما الذي إستخلصته مما حدث لي ؟ هل قمت بواجبي ؟ لقد أنجاني الله لكنني لم أمجده أي أنني لم أكن شاعر او لم أنظر إلى ما حدث لي على أنه نجاة ،إذا فكيف يمكنني أن أتوقع المزيد؟" (2).

فكروزو لم يكن يرى للخلاص سوى معنى واحدا ،وهو الخلاص من الجزيرة التي كانت تمثل سجنا كبيرا بالنسبة إليه ،أي أنه كان بداية ينظر إلى هذه الكلمة بمفهومها الديني الضيق أما الآن فإنه ينظر للمعنى الحقيقي لهذه الكلمة ،أي الخلاص بمفهومه الديني وهو الأمر الذي شكل تحولا كبيرا في طريقة تفكيره "الآن بدأت أفهم العبارة التي ذكرها سابقا بمعنى مختلف لم أدركه من قبل أبدا فلم تكن لدي فكرة عن النجاة إلا بمعنى النجاة من الأسر الذي كنت فيه ولكنني الآن تعلمت أن أفهم الكلمة بمعنى مختلف ،فأما الآن أنظر إلى حياتي الماضية برعب حيث أرى أثمائي بشكل مخيف جدا إلى درجة أن روحي تطلب من الله سوى الخلاص من وزر الذنب الذي يقض مضجعي ،أما بالنسبة لحياة العزلة فهي لم تعد تعني لي شيئا" . (3)

ولا يلبث روبنسون كروزو ان يجد أن ثمة داعيا جديدا من دواعي الشكر ذلك أن العناية الإلهية قد اتت إلى جزيرة وسط موقع جغرافي تستوطنه قبائل آكلي لحوم البشر أي أن السفينة لو كانت قد تحطمت في أي موقع آخر لما كان ينعم بالأمان الذي ينعم به الان في هذه الجزيرة الخالية(4) حتى من الحيوانات المفترسة و السامة.

وروبنسون كروزو الان يقرأ الكتاب المقدس بشكل يومي ويجد العزاء و المواساة في كل كلمة يقرأها ،كما انه يحاول أن يسقط كل ما يقرأه على واقعه الحالي ،وكانه تلك الكلمات موجهة له شخصيا.

¹ المرجع السابق :دانيال ديفو (روبينسون كروزو) ص82

² المرجع نفسه ص86

³ المرجع السابق :دانيال ديفو (روبينسون كروزو) ص88

⁴ الموقع السابق روبنسون كروزو لدانيال ديفو المعرفة

المحاميل الثقافية في قصة روبنسون كروزو (الدوافع و الأسباب):

في أواخر العشرينيات من القرن الثامن عشر، كان هناك كاتب أنفق عمره كله في العمل السياسي، ونشر البيانات الإجتماعية، لكنه في ذلك الحين كان أربى على الستين من عمره وبدأ يحس أنه مقصر مالياً مع بناته اللواتي بتن على وشك الزواج إذ أنه لم يكن قادراً على توفير لهن أية إمكانيات، وهكذا لم يكن عليه إلا أن يكتب نصاً يروج و يعود عليه يشيء من المال، فصدر في لندن كتاب غريب من نوعه أصدره قبطان سفن يدعى "روجرز" يروي فيه حكاية دورانه حول العالم، لكن فصلاً محدداً من الكتاب إستوقف يومها الكاتب وقد أعتبر ذكرى ميلاد واحدة من أولى الروايات الإنجليزية وكان ذلك الفصل يتحدث عما حدث للبحار "سيلكيرك" الذي وجد نفسه مهجوراً وهذه الحكاية المروية كما في ذلك الكتاب سرعان ما أثارت مخيلته تماماً و دفعته إلى تصميم مشروع عنوانه ومضمونه " الحياة الغريبة و الحافلة بالمغامرات الصاخبة التي عاشها روبنسون كروزو" البحار القادم من مدينة يورك و الذي عاش ثمانية و عشرين عاماً في جزيرة مهجورة.(1)

الأبعاد الحضارية في قصة روبنسون كروزو (الأهداف):

في الخامس والعشرين من شهر أبريل، حلت ذكرى ميلاد واحدة من أولى الروايات الإنجليزية وأكثرها شهرة إذ نشرت عام 1719 السيرة الذاتية المتخيلة لروبينسون كروزو الشاب المغامر الذي يجد نفسه على جزيرة نائية، يضطر فيها إلى إعادة حياته

¹ يسرى عبد الله: روبنسون كروزو لدانيال ديفو hadarat.ahram.org تاريخ الدخول 28/03/2017 على الساعة

وإمتحان قدراته في مواجهة الطبيعة إلى حين نجاحه في العودة موطنه بعد سنوات طويلة (1)

الرواية تعد من أكبر الروايات وتعد من مؤلفات السرد الخيالي في الأدب الإنجليزي صارت خلال فترة قياسية واحدة من أكثر الكتب إنتشارا على مستوى العالم وألهمت المئات من المؤلفات الشبيهة و الترجمات و الإسقاطات في الأدب و السينما و المسرح.

ولربما يكمن سر نجاحها الكبير في كونها بمثابة إختبار أدبي يجد كل قارئ فيه ما يمدّه بصلة و يستخلص منه العبر بناء على ذلك إذ إن هاجس البقاء المهيمن على حياة البطل في القصة يدفعه إلى إستنتاجات يخلص إليها تباعا، كترويض القناعات، وتعلم أخلاقيات العمل.

والإنضباط الذاتي وصولا إلى التطور الروحي و الإيمان .

الأمر الذي أتاح فرصا للتأويل و التحليل المختلف ،من إعتبار "كروزو" البطل تجسيدا للمستعمر الغربي أو المبشر البروتستاني إلى كونه رمزا للإقتصاد المبسط أو تفسير تجربته كرحلة فلسفية عبر العزلة نحو الخلاص الديني و الديني معا. (2)

فرواية " مغامرات روبنسون كروزو " تمكنت عبر رسم صورة شخصيتها الرئيسية من رسم صورة ما لتطرو البشرية نفسها وتعمقت في دراسة قدرة الإنسان على وعي ذاته وإقامة مجتمعه الخاص غائصة في مسائل مثل الإيمان و التربية و الصراع من أجل البقاء وأكثر من هذا علاقة الإنسان بالطبيعة ،وفي شكل أكثر تحديدا و الصراع الذي يمكنه أن يخوضه الإنسان ضد عنت الطبيعة ،وقدرته هو على تسخير إمكانيات هذه الأخيرة لمساعدته على العيش، ما يحيلنا إلى القصة الحضارية ،بما ذلك قضية التواصل

¹ هبة غانم: روبنسون كروزو جزيرة ابن طفيل تتسع للجميع. لندن <https://www.alaraby.com> تاريخ الدخول

01/04/2017 على الساعة 15:38

² مغامرات روبنسون كروزو لدانيال ديفو <https://yaqut.com> تاريخ الدخول: 01/04/2017 على الساعة 15:52

و اللغة إذ تعتبر مميزة في تسلسل أحداثها وفي تطورها رواية مليئة بالمغامرات الممتعة المشحونة بالفضول رواية أحبها كل القراء على إختلاف أعمارهم.

المبحث الثالث : خصائص الكتابة القصصية عند دانيال ديفو daniel defoe

إن العنوان الكامل لرواية روبنسون كروزو robinson crusoe هو "حياة البحار روبنسون كروزو و مغامراته الغريبة في يورك " و الشخصية الحقيقية لبطل هذه الرواية هو ألكسندر سليكيرك⁽¹⁾ alexander selkrik (وقد كان في رحلة بحرية مع زملائه البحارة إلى البرازيل ،ولكنه عندما نشب النزاع بينه وبين زميله "سترادلنغ setradeleng " الذي أصبح قبطانا بعد موت القبطان الحقيقي ،و تزايد هذا النزاع فقد قرر أن ينزل زميله على ساحل جزيرة " خوان فيرناندز " مع ممتلكاته الشخصية وأشياءه الضرورية وعاش هناك وحيدا لمدة أربع سنوات ونصف (1704 م-1707م) ثم إلتقطته سفينة ما و أعادته إلى إنجلترا .

وقد ذكر "جاي إن بوكوك jayin pocock⁽²⁾ سببين عن أهمية هذه الرواية و التي عدها معجزة أدبية :

- قوة الحقائق فيها و الكمية الهائلة من التفاصيل القوية والتي جعلت الحياة فيها أكثر حيوية .

- تأثيره على الأجيال بحيث أن الكتاب هو الأول والأخير وهو التبرير السامي للفردية - وهذه الفردية جعلت "ايان وات" في كتابه "ظهور الرواية" يكتب فصلا بعنوان (روبنسون كروزو الفردية) لتفسير النظام السياسي للمجتمع الإنجليزي

¹ ألكسندر سليكيرك (1676-13ديسمبر1721) هو بحار إسكتلندي كانت قصته النموذج الأول لقصة روبنسون كروزو ولا يعرف تاريخ مولده لكنه على الأرجح كان لارغو في إقليم فايف الإسكتلندي وكان ابن إسكافي وركب البحر عام 1695

² جاي إن بوكو روبنسون كروزو لدانيال ديفو لندن 1966

و تأثيره على الرواية .

لذلك بإمكان الفرد أن يقول أن "كروزو" يثل رمز للإستعمارية البريطانية بعد فترة الإكتشافات الجغرافية وخاصة تلك المتعلقة بدول العالم الثالث.

وتبرز مصداقية هذه الفكرة من الجزيرة البدائية التي تحتاج إلى أن تكتشف وتتطور لتصل إلى الحضارة الإنجليزية بواسطة الرجل الإنجليزي وأن أكلة لحوم البشر البدائيين يمثلون هؤلاء السكان المتوحشين من العالم الثالث وفق وجهة النظر الأوروبية ،وقد تأكدت هذه الفكرة بالعلاقة المتمثلة بين كروزو "السيد" و فرايدي (Friday) أو جمعة " الخادم" أو العبد الذي أعطاه سيده الإسم و علمه ما يريد سيده أن يتعلم.

إن هذا الترميز السياسي ربما يناقض الدروس الأخلاقية "لديفو" و الذي قدم بها بعض أعماله مثل "مدرس العائلة" ولكن مثلما يقول وات :كانت روايته لا تعكس النظرية ولكن التطبيق .(1)

هي حكاية رجل ألقى في ساحل جزيرة مهجورة تتضمن مغامرة مشهورة ،ودراسة لما تعنيه الوحدة الحقيقية وهي أيضا قصة شخص ناجح،وذلك لأن كروزو إستطاع بجده في العمل و قدرته على الإبتداع و الإستفادة من الآخرين أن يجعل من جزيرة مستعمرة ناجحة .(2)

تروي إذا القصة رجل إنجليزي من الطبقة الوسطى نشأ على حب المغامرات و ركوب البحر وفي أول رحلة لكروزو تعرضت سفينته لعواصف هوجاء ،خرج منها كروزو بمعجزة وقرر أن لا يعود إلى البحر لكنه لما عمل في التجارة ركب سفينة متجهة إلى إفريقيا تعرضت تلك السفينة لهجوم من القراصنة ،وأقتيد "كروزو" أسيرا إلى المغرب وهناك عمل كعبد ولاقى ألوان العناء ،ولكن عندما سنحت له فرصة للهرب فر من المغرب بعد إستعادته حريته لفترة قصيرة ذهب إلى البرازيل ،وهناك عمل كموزع وبعد

¹ فيصل عبد الوهاب:قصة روبينسون كروزو دنيال ديفو منتديات منابر ثقافية www.maneber.com تاريخ

الدخول 12/03/2017 على الساعة 15:17

² روبينسون كروزو زهلول الموسوعة العالمية المجانية تاريخ الدخول:21/01/2017 –على الساعة:15:12

فترة إقترح عليه مزارع إنجليزي أن يذهب إلى إفريقيا لجلب عبيد يعملون في أراضي كروزو والمزارع الإنجليزي الآخر. أبحر الإنجليزيان معا لجلب أفارقة، لكن قدر لهذه السفينة أن تحل بها كارثة، إذ هبت عليها عواصف ولم ينجو منها غير "روبينسون كروزو" الذي لجأ إلى بعض حطام السفينة ليسبح إلى الشاطئ .

وجد " كروزو" نفسه على جزيرة غير مأهولة في سواحل أمريكا الجنوبية وأقام هناك كروزو وبعد أن أخذ يجلب من السفينة كل ما يحتاج إليه من طعام وأدوات تمضي مغامرات "كروزو" وحيدا على جزيرة موحشة. (1)

في يوم من الأيام نزلت جماعة أكلة لحوم البشر على الجزيرة وكانوا قد جلبوا معهم أسرى بيض البشرة قاتل كروزو الإنجليزي أكلة لحوم البشر وهو سود البشرة لينقذ الأسرى البيض .

وكان من بين الأسرى شابا اسمه جمعة "Friday" إختار له كروزو هذا الإسم لأنه أنقذ الأسرى يوم جمعة بقي كروزو مدة ثمانية و عشرين عاما و شهرين في تلك الجزيرة حتى رأى في يوم من الأيام سفينة إنجليزية كان بعض رجالها قد تمردوا على قبطانها وأسروه فتغلب "كروزو" و جماعته على المتمردين و خلصوا قبطانها و عادوا على متنها إلى إنجلترا جميعا.

هذا فيما يخص أحداث القصة وعلى الرغم من أن مسألة "ديفو" بقصة (حي بن يقضان قد أصبحت من مسلمات الدراسة المقارنة)⁽²⁾، يمكن ان نلاحظ مساحة من الأصالة في قصة "روبينسون كروزو" إستعصت على التأثر، لتعلقها بروح الأمة أو روح الثقافة التي ينتمي إليها الكاتب ولعل ذلك يعود إلى أن الأدب عادة ما تتجلى فيه روح الأمة وإيمانها و خيالها و أفكارها لأنه الإختيار الحقيقي النظري.

¹ الموقع السابق: روبنسون كروزو زهلول الموسوعة العالمية المجانية

² ينظر في ذلك تراث الإسلام، شاغت و بوزورت، سلسلة عالم المعرفة (عدد 12) المجاس الوطني للثقافة و الفنون و الأدب، الكويت 1988 ومدخل إلى تاريخ الأدب الأروبية خاتم عماد الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس 1979

فإذا كان "ديفو" قد إستلهم البنية الحكائية و التصويرية "لحي بن يقضان" وكذلك إستلهم الأسئلة المعرفية ذاتها وعلاقة "روبينسون كروزو" بالوسط⁽¹⁾ المحيط به كان واضحا في النص إذ يقول عن جزيرته النائبة التي رمتها الأمواج إليها: "إن هذا ملك لي، وإني ملك على كل هذه البلاد بشكل غير قابل للإلغاء، وإني أتمتع بحق الملكية، وإذا إستطعت نقل ملكية هذا المكان، فيمكن أن أحصل عليه بالوراثة بشكل كامل، كأني مالك لمزرعة في إنجلترا"⁽²⁾

فروبينسون كروزو "robinson crusoé" لم ير في جزيرته إلا البعد النفعي الذي يراعي مصلحة واحدة هي مصلحة الذاتية .

ومفهوم الملكية الشخصية واضح في عبارة كروزو فالأشياء المحيطة به هي موضوعات للتملك موضوعات للهيمنة، موضوعات لتأكيد مركزية الذات، وإن ما يثير العجب بحق قوله: "إذا إستطعت نقل ملكية هذا المكان فيمكن أن أحصل عليه بالوراثة بشكل كامل كأني مالك مزرعة في إنجلترا"⁽³⁾

فحس الملكية الطاعني دفعه إلى التفكير في وراثة المكان، كأني مالك من ملاك المزارع في إنجلترا.

فالمرجعية الثقافية التي تحكم "كروزو" لا تخرج عن المرجعية الإستعمارية التي تحكم دانيال ديفو الذي عاش إبان النفوذ الإستعماري المتعاضم لإنجلترا⁽⁴⁾

ذلك أن "العين الإنجليزية (ولاسيما في ذلك الحين) ترى كل شيء عداها، ولكنها لاتنتج في إدراك أنها هي نفسها تنظر إلى شيء بالفعل وتصبح حدودها مشتركة مع حدود

¹ الدكتور لوي خليل-الأدب و الموقف من الآخر،حي بن يقضان لإبن طفيل و روبنسون كروزو لدانيال ديفو أنموذجا مجلة جامعة دمشق -المجلد 30-العدد(1-2)2014www.damascus.untrsty.edu تاريخ الدخول 28/03/201 على الساعة: 21:25

² دانيال ديفو، روبنسون كروزو، ترجمة: أسامة إسبر، الكاتب الشهري وزارة الثقافة، دمشق 2007 ص159-160، وفي النص الإنجليزي: "أنا سيد الجزيرة كلها وإن شئت قد أدعوا نفسي ملكا أو إمبراطورا على كل هذا البلد الذي أملكه

danieldefoe.robinson crusoé.penguinbooks.1981p139

³ المرجع السابق -دانيال ديفو روبنسون كروزو ص159-160

⁴ إشتراك إنجلترا في هذه المرحلة (القرن الثامن عشر) في عدد من الحروب الإستعمارية لتوسيع نفوذها و أراضيها حتى وصلت إلى أمريكا و أقامت فيها عددا من المستعمرات ينظر: مدخل إلى تاريخ الأدب الأوروبية ص207

رؤيتها" (1) "فروبنسون كروزو" يروي قصته الخاصة بأثر رجعي من وجهة نظره الشخصية وهذا يعني أن تصل إلى قراءة كل التفاصيل الصغيرة التي تذهب و على رأسه ستكون مهمته في الصحوة الروحية الداخلية التي يخضع لها كروزو على مدار الرواية. (2)

إذا نعتبر القصة جد مثيرة في جزيرة صحراوية بالإضافة الى السفن و البحار ،وأكلة لحوم البشر و هي في الأساس مجموعة متكاملة من العمل و طريق الطبع في أماكن غريبة و بعيدة فإنه يضع معيار لجميع قصص المغامرات التي تلت ذلك"فروبنسون كروزو" "robinson Crucoie" قد تم بناء قصته على قصة حقيقته لبحار اسمه "ألكسندر سليكيرك"(3) بحار إسكتلندي الذي انقطعت به السبل على جزيرته الخاصة قبالة ساحل الشيلي لمدة أربع سنوات طويلة جدا ، تم إنقاذه في نهاية المطاف في 1709 و ظهرت قصته في شكل مطبوع و دوريات في جميع انحاء إنجلترا.

"دانيال ديفو" لديه أسلوب بارز من الاعتماد على العقل و فهو كصحفي يجعل الرواية حقيقية و ليس الخيال و ذلك بذكر تفاصيل كثيرة فهناك قوائم من الأشياء ، و الأعمال التي تجعل القارئ يعتقد أن كل ما يحدث "لكروزو" صحيح ، إذ ينتج المؤلف هذا الانطباع من الواقع الكامل عن طريق استخدام ثلاث طرق رئيسية ، و التي يتم استخدام هذه التفاصيل بشكل سيرة بالإضافة الى اللغة والسرد. (4)

"ديفو" يستخدم الكثير من التفاصيل لجعل روايته تبدو واقعية في عصر لا يفضلون الخيال فمن بداية الرواية يذكر تاريخ و مكان ولادته و يروي اصل عائلته ، ثم عندما يخطط هروبه من العبودية يسرد كافة العناصر التي ينوي إتخاذها معه أيضا بعد وصوله الى جزيرة معزولة ، و قال انه يعتمد على أحد عشر رحلات في حطام السفينة

¹ أنطوني لحنج-الثقافة و العولمة و النظام العالمي ترجمة شهرت عالم -وهالة فؤاد-محمد يحيى -مراجعة يحيى -

المشروع القومي للترجمة ،المجلس الأعلى للثقافة القاهرة 2001ص46

² robinson crusoie genre.retrieved marth from :http://www.shmoop.com/robinson

crusoie29/03/2017 at :23 :24

³ المرجع السابق :ألكسندر سليكيرك

⁴ أسلوب الكاتبة عند دانيال ديفو "في رواية روبنسون كروزو www.startimes.com تاريخ الدخول

23:55 على ساعة 30/03/2017

لجلب الادوات اللازمة التي يحتاجها ليعيش في الجزيرة أثناء ذلك يصف كيف أنه يستخدم قطع كبيرة من الخشب لتلبية حاجاته الضرورية في تلك الجزيرة المعزولة

و يروي بالتفصيل جميع الاشياء و الادوات التي تمكن من الحصول عليها و قال انه تمكن من الاستعاب و تمكنه من العيش على الجزيرة و تأقلمه فيها

و قال أنه عاد بناء حياته الانجليزية و بناء المنازل ، و تعلم كيفية طهي الطعام و تربية الماعز علاوة على ذلك "ديفو" أول راوي يستخدم شخص كوسيلة من السرد على شكل سيرة ذاتية فيصف حياته الخاصة المليئة بالمغامرات من بداية الرواية، فقد استخدم الضمير "أنا" قائلاً : " لقد ولدت في عام 1632 " فكروزو هو بطل الرواية(1)

إذ يقدم للقارئ العمق النفسي له مثل تحوله الديني ، فهو يروي حلمه و إيمانه بالله

و أخيراً يستخدم المؤلف لغة بحرية لاضافة المزيد من العمق للرواية الواقعية ، على سبيل المثال يصف كروزو تفاصيل رحلته الاولى و الطرق التي أبحر من خلالها، كما أنه يصف كيف غرقت سفينته و ذلك أثناء هروبه من العبودية ، فهو يصور كيفية ابحاره على الساحل الافريقي.

فديفو يستخدم الكثير من التفاصيل من أجل جعل روايته حقيقية إذ يوفر على القارئ مجموعة من التفاصيل لوصف انشطته في جزيرة بعد أن تقطعت به السبل على جزيرة معزولة اذ وصف السلع و الادوات التي وجدت على متن السفينة و من أدوات بحار

و البارود و السيوف و الحبال، و البنادق ، و كومة من المال و غيرها بعد ذلك شرع في بناء مسكن يتكون من كوخ و كهف ، وقال أنه يستخدم أدوات من الغابة . (2)

فديفو يستخدم الرواية على شكل سيرة ذاتية ، اذ تصف حياة البطل "كروزو" و أنه ينتمي الى عائلة من الطبقة المتوسطة والده لديه عقارات في نيويورك و قد تلقى تعليمه في

¹المرجع السابق daniel defoe.robinsoncruoe p06 مع الاطلاع على النسخة الانجليزية i was born in the year 1632...

² A possible source for daniel defoes farther adventures of robinson cursoe « jounal for eighteenth centry studies 2(3) :231-236

مدرسة بالبلاد إذ أن والده أراد أن يكون محامياً، و مع ذلك يرفض كروزو نصيحة والده لان لديه ميل قوي لاكتشاف العالم و والمغامرات، يذهب في رحلة رغما من رفض والده فقد واجه العديد من الصعوبات و الأزمات خلال واحدة من رحلاته، فقد تعرض لخطر الغرق و تقطعت به السبل، اذ يمضي سنوات عديدة في الجزيرة مع ذلك تمكن من التكيف و التأقلم مع نفسه تبعا للضروف الصعبة و القاسية في الجزيرة فقد أدرك خطأه وأراد أن يكفر عنه، بعد أن قام بدعم قائد الانجليز ضد تمرد طاقمه فأعطاه القائد حرية المرور الى انجلترا و قد تولى "ديفو" فكرة الرواية من قصة شخصية حقيقية من "الكسندر سيلكيرك".⁽¹⁾

"فديفوا" يستخدم الرواية كوسيلة من وسائل السرد، هذا الاسلوب يجعل العلاقة بين الراوي و القارئ وثيقة للغاية، فالقارئ يتلقى كل المعلومات من خلال الرواية "روبينسون كروزو".

هذا الأسلوب يجعل الرواية اكثر واقعية و تصديق , فالقارئ يتلقى المعلومات من خلال خطاب للبطل نفسه، فالراوي هو الذي يتحدث بلسانه و هو الذي ذهب من خلال تجربته التي يتحدث عنها، و بالتالي فالمعلومات مباشرة.

¹ الموقع السابق

الفصل الثالث: دراسة تطبيقية مقارنة بين القصتين "حي بن يقضان" و

"روبنسون كروزو"

المبحث الأول: التسمية

المبحث الثاني: الشخصيات

المبحث الثالث: الامكنة

المبحث الرابع: الازمنة

المبحث الخامس: جماليات السرد

المبحث السادس: دراسة مقارنة بين المحاميل الثقافية و الابعاد الحضارية

بين حي بن يقضان و روبنسون كروزو

المبحث الأول: التسمية

1/ التسمية:

أ/حي بن يقضان: "حي" يقصد به "العقل" لأنه لا معنى للحياة

الإنسانية عند المفكرين الإسلاميين سوى الإدراك، و عند تمام الإدراك العقلي البرهاني تكتمل الحياة . (1)

أما "ابن يقضان" فهو يرمز به الى الاصل الذي انحدر منه العقل او صدر عنه و هو "العقل الفعال" الذي هو على علاقة بما يجري في العالم الارضي و الساهر على تنظيم عالم الكون و الفساد لذلك فهو برئ عن الغفلة او الاغفاء كما انه في علاقة فيضية أبدية بالعقول السماوية و بالعقل الاول الذي هو في حضور دائم عند ذاته باستمرار فبين العقل و الالهوية بنسبة جوهرية .

إن مصادر قصة "حي بن يقضان" في التراث الإسلامي، هي ثلاث قصص أو رسائل فلسفية تحمل عنوان "حي بن يقضان"، أولها بحسب التسلسل التاريخي رسالة رمزية في الفلسفة كتبها إن سينا و ثانيهما قصة (حي بن يقضان) على إختلاف في تحديد التسمية كتبها أبو بكر ابن طفيل، وثالثهما: رسالة فلسفية كتبها شهاب الدين السهرودي. قصة "حي بن يقضان" قصة فردية ذات طابع فكري خاص بقلم ابن طفيل، وكأن روعة و عظمة هذه القصة قد إستأثرت بالأذهان وتملكت بالنفوس، فصرفتها عن تتبع تفاصيل حياة صاحبها .

فلم يتيسر عنها من المعلومات سوى القليل، ولكن لاشك في أن حياة ابن طفيل كانت هادئة مستقرة . (2)

¹ عباس حسن محمود : حي بن يقضان و روبنسون كروزو ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت 1983

ص125

² عبد الأمير شمس الدين : الفكر التربوي عند ابن طفيل ، سلسلة موسوعة التربية والتعليم الإسلامية ، دار إقرأ بيروت - 1404هـ - 1984 ص5

فمن خلال قرائتنا للقصة نجدها تضم بين صفحاتها العديد من القيم الإنسانية، وكذلك القيم التي يمكن إستخلاصها من الطبيعة بإعتبار هذه الأخيرة خيرة، إذ تعتبر أسطورة تحكي قصة شخص يدعى "حي" نشأ في جزيرة وحده وترمز للإنسان، وعلاقته بالكون وبالدين، كما تحتوي على العديد من القصص والأساطير الفرعية، إذ إحتوت على مضامين فلسفية .

فقد حاول ابن طفيل من خلال القصة التوفيق بين الفلسفة و الشريعة وبين العقل و النقل وإزالة أي شبهة للتعارض بينهما، فأراد أن يثبت أن أي إنسان ذي فطرة سوية يمكن أن يصل إلى معرفة الله والإيمان به وأن هذا سيتطابق مع الدين الصحيح الذي جاء من عند الله بواسطة رسله .

وهنا ينبغي الإشارة إلى العنوان وما يشتمله من معنى يلتبس في فهمه فـ"حي" هنا لا يعني المعنى المتداول حالياً، وهي التجمع السكاني في مكان ما، إنما هي الإسم الأول للشخصية التي تدور حولها أحداث العمل الأدبي الفلسفي الذي يقدمه ابن طفيل في شكل رواية وبالرغم من هذه الجزئية المبتكرة في القصة إلا أنها لا تخلوا من رسالة فلسفية قوية وعميقة (1).

يقول إبراهيم عبد الله: لقد إختار ابن طفيل لبطل قصته إسم "حي بن يقضان" و "الحي" هو الدارك وهو المتحرك من ذاته بحركات محدودة نحو أغراض وأفعال محدودة تتولد عنها أفعال محدودة.

و"اليقضان" هو المستعمل للحواس فجمع له بين الإدراك العقلي وبين الممارسة العلمية الخاضعة للتدبير .

فحي إذن يرمز عند ابن طفيل لأدوات المعرفة في تحررها و تفتحها وتآلقها، وشوقها إلى المعرفة التي ترمي بالذات من خلال أفعال محدودة.

روبينسون كروزو : robinsone crusoe

يتلاءم عنوان الرواية مع مضمونها لأن العنوان هو إسم بطل الرواية وهو روبينسون كروزو وهي قصة كتبها دانيال ديفو سنة 1719 هذه الرواية هي سيرة ذاتية، وهي تحكي

¹ المرجع السابق، عبد الأمير شمس الدين ص11

قصة شاب إنعزل في جزيرة ما وحيدا لمدة طويلة دون أن يقابل أحد من البشر الشاب التواق لركوب البحر فلم تجد نفعا دعوات أمه، وتوسلات أبيه في منعه من البحث عن المغامرات البحرية، فقد قام "روبنسون كروزو" بعدة رحلات بحرية، وكان أن غرقت السفينة التي أقلته في إحدى رحلاته، ولم ينج أحد من السفينة إلا "روبنسون كروزو" بالذات بعد ذلك بدأ وحيدا منفردا بنفسه، يعيش حياة جديدة على تلك الجزيرة النائية إستطاع أن يبني كوخا صغيرا، وأن يحصنه كما عمد إلى زراعة مايلزمه من المحاصيل وتمضي السنين بينما تستمر وحدة روبنسون كروزو وعلى الرغم من وحدته الرهيبة لا يفكر روبنسون كروزو ولا يركز في حياته إلا على هدف واحد ألا وهو توسيع نشاطه العملي⁽¹⁾

ويحدثنا عن مغامراته وكيف إرتاد الجزيرة بعض المتوحشين وإستطاع "كروزو" إنقاذ أحد أسراهم ليعيش معه وسماه "جمعة" فكانت رحلته مليئة بالمغامرات، والاختار إذ قاتل "كروزو" مجموعات أخرى من المتوحشين، وأطلقوا سراهم⁽²⁾. هكذا ولم ينسى كروزو حمل بعض القطع النقدية التي كانت بحوزته، والتي تغير لونها وكانت تصدأ لعدم إستخدامها وهذا بعد مغادرته لتلك الجزيرة النائية والتي قضى فيها ثمانية وعشرين عاما وشهرين وتسعة عشر يوما بالتمام والكمال .

إضافة إلى تلك النقود والأموال التي عثر عليها بين حطام سفينة إسبانية غارقة . لم يترتب على وجود روبنسون كروزو على الجزيرة النائية وحيدا أن تخلق لديه أي شوق إلى التساؤل، وكان التوق المعرفي غائبا عنه تماما، إختزل روبنسون كروزو السيرة المهنية والتوسع بمفرده لنلاحظ أن "روبنسون كروزو" بالأجنبية هي CRUSOE وقد أشتقت من الفعل الأجنبي CRUISE الذي يعني الطواف في البحر بحثا عن سفن الأعداء، ومنه نحتت الكلمة المعاصرة CRUISER والتي تعني المدمرة أو السفينة الحربية .

¹ دانيال ديفو "روبنسون كروزو" ترجمة كامل كيلاني، مطبعة المعارف بمصر ط3، د.ب.ت ص14

² مراجعة ومقارنة كتابين كروزو وحي بن يقضان: موقع الباحثون <http://albahethom.com> تاريخ الدخول 08/03/2017 على الساعة 21:34

وهنا نقول أن روبنسون كروزو ROBINSON CRUSOE رواية من تأليف الكاتب الإنجليزي دانيال ديفو DANIEL DEFOE تم نشرها لأول مرة في عام 1719 هي رواية من نوع السيرة الذاتية التخيلية وتعتبر الأولى من نوعها باللغة الإنجليزية تدور أحداث الرواية عن حلم الكثير من الشباب في العيش بعيدا عن ظلم العالم، و البقاء في أحضان الطبيعة التي هي أفضل من العالم الظالم الذي يقع على الإنسان، كما تتكلم الرواية على مدى التحضر والتقدم الذي وصلت إليه الشعوب الأوروبية مما يعطي الرواية واقعية أكثر. (1)

المبحث الثاني : الشخصيات

الشخصيات :

1)حي بن يقضان :

هي الشخصية الرئيسية التي يشير إليها العنوان،وهي شخصية متدرجة نامية ومنتطورة يتمثل دورها الأساسي في الكشف عن الحقيقة، وإكتساب المعارف و ستنتفح سيرتها من حيث مراحلها وأطوار المعارف التي يجد حي في إكتسابها وفي بحثه عن الحكمة والوصول إلى حقيقة الوجود و في صراعاته مع الحياة و البيئة و نفسه أيضا وهو لازال صغيرا ولقد قصد ابن طفيل درس سيرة المعرفة الإنسانية، والكشف عن قدرات الإنسان وإمكانياته المعرفية و مؤهلاته الحسية وإستعداداته العقلية وقدراته الذهنية عبر خبرته وما يكسبه من تجارب الحس التي ترتقي به إلى المعرفة العقلية والإكتشافات المعرفية ولقد صورت أحداث هذه القصة ووقائعها المتتالية محنة الإنسان، وإجهد العقل البشري في عالم الكون و الفساد إلى المعرفة الصحيحة القائمة على الحس و التجربة (2)

2)الظبية:

ودورها أساسي في تحقيق إنفراج الأزمة في المرحلة الأولى، بإحتضانها ورعايتها "حي" فقد شكلت علاقة "حي" بالظبية كما جاء في القصة موضوعا للأخلاق وموجباته في رد الجميل و تقدير المودة و الحنين للعيش المشترك وقد أشار "أنور أبو بندورة" إلى هذا

¹ الموقع السابق،مراجعة و مقارنة كتابين روبنسون كروزو و حي بن يقضان

² المرجع السابق: عبد الأمير شمس الدين ص25

الجانب الأخلاقي الذي يتجلى بحسه في موقف نفسي عاطفي يظهر مثلا في تلك المحبة وذلك العرفان بالجميل من "حي" نحو الطيبة التي ربه من خلال مساعدتها وإطعامها وجلب الثمار لها عند عجزها كما يتجلى حيناً آخر في موقف من النمط الإجتماعي التمذني رغم عدم وجود مجتمع أو مدينة.⁽¹⁾

فالقصة بهذا المعنى تحمل رسالة أخلاقية عبر عنها ابن طفيل بواسطة فطرية شخصية من تربية الطيبة لحي وإعتنائها به والإهتمام به أيضا حتى كبر.

(3) أسال :

كان يعيش في جزيرة قريبة من جزيرة الوقواق وله صديق هو سلامان وهما يدينان بأحد الأديان السماوية وكان سلامان يقول بظاهر الأشياء ويرفض التأويل و التأمل أما أسال فكان يغوص في الأمور الباطنية.⁽²⁾

فلم يكن أسال سوى ذلك العبد الذي هجر جزيرته بعد خلاف حصل بينه وبين سلامان قاصدا جزيرة الوقواق، طمعا في مكان يؤمن له ظروف الوحدة من أجل التفكير و التدبر ليجد نفسه أمام "حي" الذي إقتنع بالتقرب منه بعد أن فشل مرار في الهروب منه. فأبهره بإكتشاف معرفة الله ،دون وساطة، فأهتم بتعليمه لغة الكلام وأخبره بمطابقة ماتوصل إليه مع تحمله المعتقدات الدينية كما شكاه له أحوال الناس في جزيرته، وما هم فيه من بعد عن الاخلاق وإتفق معه على أن يرافقه إلى جزيرته عليهما يفلحان في هداية أهلها إلى الحق .

¹ المرجع السابق ابن طفيل قصة حي بن يقضان ص125

² المرجع نفسه ص 130

2/ روبنسون كروزو "robinson crusoé" :

أ/الشخصيات الرئيسية :

1/ كروزو: الشاب التواق و المحب للمغامرات ،والذي يرغب بشدة أن يصبح بحارا وعلى الرغم من معارضة عائلته ،فيذهب بحرا ،وتكون رحلته مليئة بالمغامرات والمخاطر التي تصادفه في الطريق .⁽¹⁾ إذ تعد رواية "روبنسون كروزو" واحدة من الروايات الأكثر مبيعا في عام 1719 وبطلها روبنسون كروزو .

2/ جمعة "Friday" : ويطلق عليه "Friday"،وهو أول شخص يدخله "كروزو" في النظام الإجتماعي في الجزيرة إسمه ليس بالطبع "جمعة" من الولادة ولكن هذا هو الإسم الذي أطلقه عليه كروزو بعد إنقاذه له و يعتبر من المتوحشين ،أكلي لحوم البشر ،ينقذه "روبنسون كروزو" من خاطفيه ،ويبقى "جمعة" وفيا له حتى النهاية ،ويصبح عبدا وخادما له وهذا تشكرا له .

فيعلمه "كروزو" التحدث باللغة الإنجليزية،كما يشجعه على أكل الماعز ،ويساعده في تحوله إلى المسيحية ،النقطة الأولى والأكثر وضوحا حول علاقة جمعة مع كروزو ،هي أن كروزو هو المرؤوس و" جمعة" يدعو " كروزو" سيد و يبقى خادمه ووفيا له حتى النهاية .

ب/ الشخصيات الثانوية :

1-والد كروزو :يرفض الإذن لكروزو للذهاب إلى البحر ،ويحذره من العواقب و المخاطر التي ستصادفه إن عصاه ،ولم يعمل كما قال له لكن كروزو ينكر نصيحة والده ويقرر متابعة أهوائه ،والغوص في البحار و المغامرات ،ونراه ينكر أيضا بإستمرار قوة

¹ daniel defoe.robinson crusoé p :17

وسلطة الله أيضا وفي النصف الأول من الرواية يذكر كيف عصى أمر والده ولم يأخذ بنصيحته بعدم ذهابه إلى البحر. (1)

فمعظم القرارات التي إتبعها "كروزو" صعبة جدا في حياته وذلك خصوصا عندما رفض الأخذ بنصيحة والده .

2-xury:صبي صغير يهرب معه كروزو من الأسر في إفريقيا ويعتبر مقدمة الصداقة بين البلدين و لعلاقة "كروزو" مع "جمعة" في الجزيرة .

3-الكابتن البرتغالي : ينقذ "كروزو" ويبقى صديقا وفيما له ويعلمه كل ما يخص عن الابحار.

4-قبطان السفينة : يأخذ كروزو في رحلته الأولى ولكنه يموت بعد فترة . (2)

5-أصدقاء كروزو في البرازيل : يعملون على إبتكار خطة بإرسال سفينة للحصول على العبيد إثنان منهم يموتون في وقت لاحق ولكن الثالث شريك كروزو.

6- والد جمعة :يتم انقاذه من قبل كروزو وجمعة .

7- بقية الطاقم : تلك الموالية تعود إلى إنجلترا فبعض المتمردين منهم قتلوا ، و البعض الآخر يختار البقاء في الجزيرة .

المبحث الثالث : الأمكنة

1/حي بن يقضان :

جزيرة الوقواق : تقع أحداث القصة في جزيرة الوقواق وهي جزيرة أسطورية ورد ذكرها في بعض المصادر القديمة في كتاب عبيد الله بن حرد ذابة في كتابه " المسالك

¹ المرجع السابق p :25 daniel defoe robinson crusoe

² Daniel defoe robinson crusoe p :30

و الممالك" وكتاب "مروج الذهب" للمسعودي، وفي "نزهة المشتاق في إختراق الأفاق" للإدريسي، ولقد ورد في كتاب "المسالك و الممالك" أن موقع جزيرة الوقواق في مشارق بحر الصين وذكر المسعودي أنها تقع فوق زنجبار إلى ناحية الجنوب من سفالة الزنج.

وأورد أنه يسكن هذه الجزيرة جنس على شكل نساء يصحن "واق واق"، وإذ قبض على إحداهن سقطت ميتة، وأنه لايسكن الجزيرة رجال. (1)

ويشير صاحب كتاب "البدء و التاريخ" إلى مظهر من مظاهر المقدسي إلى أنه يوجد في بلاد الهند شجر يعرف بالوقواق يحمل ثمرًا يشبه الرؤوس الآدمية. (2)

ويورد الدمشقي في كتابه "نخبة الدهر في عجائب البر و البحر" أن الوقواق شجر شبيهه بشجر الجوز ويحمل ثمرًا يشبه صورة الإنسان .

وذكر عمر بن الوردي في "فريدة العجائب" أن في جزيرة الوقواق شجرا تشبه ثماره النساء في أحزامهن وسيقاتهن معلقات بشعورهن يصحن إذا خرجن من غلافهن و أحسسن بالهواء :واقواق، فتقطع عندئذ شعورهن فيسقطن و يمتن. (3)

فيبدو مما تقدم أن الأخبار الأسطورية التي وضعت بها الجزيرة من حيث وجود شجر يثمر النساء، يصيح ويتكلم شجع ابن طفيل على إتخاذها مسرحا لأحداث قصته ومنطلقا لفكرة التلود الذاتي و النشوء الطبيعي التي إعتدها في الخبر الثاني للقصة.

2/روبينسون كروزو "robinson crusoe"

روبينسون كروزو هي إحدى الجزر الثلاث في المحيط الهادي التي تشكل أرخبيلًا في "خوان فيرنانديز" على بعد 240 كيلومترا تقريبا من ساحل تشيلي (4)، لقد إتخذت هذه الجزيرة التي تغطي مساحتها 93 كيلومترا مربعا، إسمها من الرواية الشهيرة المعروفة

¹ المرجع السابق ابن طفيل، قصة حي بن يقضان ص9

² ينظر في ترجمة ابن طفيل : الإحاطة في أخبار غرناطة (478/2) تحفة القادم (126-127) عصر الدول

و الإمارات-الأندلس (85-86)

³ المرجع السابق : ابن طفيل قصة حي بن يقضان ص11

⁴ الإسم الرسمي للجزيرة هو ماس آيتيرا، وتسمى أيضا تشيلي، وجزيرة روبينسون كروزو، سان خوان باوتيستا المحيط الهادي و جزيرة سانتا كلارا هذه معظم التسميات التي تطلق على الجزيرة.

"روبنسون كروزو" التي وضعها الكاتب الإنجليزي دانيال ديفو في القرن 18، وكما يبدوا أستوحيت الرواية بشكل عام من مغامرات إسكتلندي إسمه ألكسندر سيلكيرك، عاش وحيدا في الجزيرة حوالي أربع سنوات .

وإليكم بعض ما كتب على لافتة خشبية موجودة : "في هذا الموقع ، كان البحار الإسكتلندي ألكسندر سيلكيرك ، يبحث قلقا في الأفق يوما بعد يوم طوال أكثر من أربع سنوات عن قارب إنقاذ يحرره من عزلته" وفي النهاية أنقذه سليكيرك وأعيد إلى وطنه عالم لم يسره بعدما عاش في فردوسه الخاص الصغير ، ويقال أنه بعد ذلك : "يا جزيرتي الحبيبة ليتني لم أهجرك قط" ومع مرور الوقت ، أضحت الجزيرة تستخدم كمستعمرة يسكنها بعض الذين إرتكبوا "جرائم إيمان" بحق الكنيسة الكاثوليكية فكم تغيرت الجزيرة الفردوسية التي عرفها "سيلكيرك" ذات مرة ! ومع ذلك فإن المقيمين في الجزيرة يتمتعون حاليا بهدوء سلمي لا تعرفه أجزاء عديدة من العالم ، ونمط الحياة المريح الذي يميز العديد من حضارات الجزيرة يجعل الإبتداء بمحادثة مع أي كان تقريبا سهلا .⁽¹⁾

يبلغ عدد سكان روبنسون كروزو 500 نسمة تقريبا ، ولكن معظم أيام السنة لا يكون في الجزيرة إلا حوالي 400 شخص فقط ، وأحد أسباب ذلك هو أن بعض الأمهات وأولادهن يعيشن في بحر تشيلي الرئيسي خلال السنة الدراسية ، ولا يعدن إلى الجزيرة إلا أثناء أشهر العطلة لقضاء الوقت مع باقي العائلة .

المبحث الرابع : الأزمنة

الأزمنة :

1) حي بن يقضان :

إن بداية القصة وخاتمها تمتعت بقدرات جمالية في السرد لكن صلب القصة ، التي تتحدث عن معاناة "حي" الروحية إثر وفاة أمه ، بدت أشبه برحلة فلسفية صوفية علمية فقط أسقط "ابن طفيل" أفكاره على الشخصية "حي" وجعله يتحدث بلغته الفلسفية

¹ الموقع السابق : تأملات في عالم الروبنسونات

الصوفية فبدت لنا هذه الشخصية البدائية⁽¹⁾ أشبه بفيلسوف مسلم، يتحدث لغة القرآن الكريم دون أن يتعرف على الإسلام بعد، فهي رواية تحكي قصة شخص يدعى "حي بن يقضان" نشأ في جزيرة وحده، وترمز للإنسان وعلاقته بالكون و الدين وإحتوت مضامين فلسفية، وألفها عدة أشخاص وأشهر مؤلف لهذه الرواية هو "إبن طفيل" الذي نقلها إلى حيز الرواية مضيفا لها أسئلة جديدة كانت تشغله كواحد من أهم فلاسفة الأندلس.

2) روبنسون كروزو: "robinson crusoe"

وهي قصة كتبها دانيال ديفو ونشرت لأول مرة عام 1719 م وهي تحكي قصة شاب عاش وحيدا في جزيرة من الجزر دون أن يقابل أحدا من البشر، ثم بعد عدة سنوات إلتقى بأحد⁽²⁾ المتوحشين فعلمه بعض ما وصل إليه الإنسان المتحضر من تقدم فكري وإتخذة خادما له، ليعود في نهاية القصة مصطحبا خادمه إلى أوربا حيث العالم المتمدن.

وتبدأ القصة بمغادرة "كروزو" إنجلترا في رحلة بحرية في سبتمبر عام 1651 م مخالفا رغبات والده ويسطوا القراصنة على السفينة، ويصبح كروزو عبدا للمغاربة إلا أنه يتمكن من الهروب في زورق، وتغرق السفينة التي كان فيها آنذاك في غواصة تبعد أربعين ميلا في البحر في مدخل نهر "أورينوكو" ما بين فنزويلا و البرازيل... ويواجه كروزو مخاطر و مشاكل كثيرة أثناء رحلته.

فقد عاش روبنسون كروزو في الجزيرة مدة ثمانية وعشرين سنة إلى أن أتت مصادفة سفينة، يرحل على متنها إلى بلده بعد أن يخوض صراعا مع رجال ثائرين على ربانها وهكذا لا حقه المتاعب حتى آخر مراحل سفره.

¹ المرجع السابق: إبن طفيل "قصة حي بن يقضان" ص 36

² الموقع السابق: تأملات في عالم الروبسنونات

المبحث الخامس : جماليات السرد

جماليات السرد في قصة "حي بن يقضان":

لو أردنا تحديد جمالية هذه القصة لوجدناها تكاد تنحصر في الجزء الأول "قصة ولادته و نشأته و في الجزء الأخير حي إتقى بأسال" و يبدو لنا مشهد اللقاء سرديا جميلا بكل المقاييس الفنية، إذ إحتفظ بقدرته على التشويق، كما شاعت به حيوية بفضل تنوع الحركات التي لمسناها لدى كل من "حي" و "أسال" , من ركض و إختباء و تلاحم في الأيدي، بالإضافة الى تنوع البيئة، إذ تم اللقاء بين البيئة الحضرية بكل ما تعنيه من إنجازات " في الملابس و الطعام و التصرفات " و البيئة البدائية بكل ما تعنيه من حياة فطرية أشبه بحياة الحيوانات، هذا على صعيد الجسد، لكن هذا التناقض سرعان ما يختفي على صعيد الروح، إذ تبين "أسال" أن "حي" لا يقل عنه إيمانا و معرفة بالله .لهذا يوافق على اصطحابه لمدينته العاصية لهداية أهلها⁽¹⁾ ثمة عناية في رسم هذا المشهد ، ظهرت في طريقة تقديم المؤلف للشخصيتين الرئيسيتين في القصة فلجأ الى رسمهما من الخارج ، وخاصة شخصية "حي" فبرز لنا في شكله البدائي "شعر رأسه يغطي جسده، ريش النسر الذي يكسوه" كما وصف لنا الأعماق، فاستطاع أن يبرز لنا حالة الرعب التي أحس بها كل واحد منهما حين التقى بالآخر، وخاصة رعب المدني من البدائي ، وبذلك إجتمع في المشهد عناصر سردية تجعل هذه القصة ذات سمات فنية ممتعة الى حد ما .⁽²⁾

رغم حياة العزلة التي عاشها "حي" فقد وجدناه عالما في الفلك حين تأمل الكون ونشأة الارض، كما وجدناه طبيبا حين بدأ بتفحص جثة أمه الظبية .

¹ مصطفى بن عبد الله القسطنطيني، تح. إبراهيم الزين، كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون، دار الكتب العلمية

بيروت 1978 م ص42

² ابن طفيل قصة "حي بن يقضان" تقديم وإخراج عمر سعيدان دار الحوار للنشر و التوزيع - اللاذقية ط2 1988

ص36

إن شخصية "حي" هي ابن طفيل العالم الفلكي و الطبيب الفيلسوف, و بذلك توحد المؤلف مع الشخصية، في أغلب أحوالها و صفتها وأفكارها، ولغتها.(1)

لعل إغراق الشخصية في التأمل الصوفي و الفلسفي، أساء الى البنية السردية للقصة إذا أن فن القصة من أكثر الفنون التصاقا بالمجتمع، لذلك قد تؤدي العزلة الاجتماعية الى الاساءة اليه، فتفقد حيويته و جاذبيته، و هذه الدراسة وفق عصرنا قد تكون مفيدة في ابراز انجازاتها الفنية لكن أن نتحدث عن مزالقها و سلبياتها هذا إجحاف في حقها لأننا نتحدث عن الفارق الزمني بيننا و بينها فنحاكمها وفق معطيات عصرنا فلو حاكمناها وفق معطيات عصرنا لوجدناها عملا رائدا قدم لنا قصة فيها الكثير من المقومات الفنية "الشخصية،المكان،السرد،الصراع"(2)

جماليات السرد في قصة "روبينسون كروزو" :

لا يجد الباحث المقارن ان يتناول العمل الأدبي من منظور مدارس النقد الجديد، إلا الوقوف المتامل عند عناصر بناء الحكاية و لطرائق نسج الحكى .

وقصة" روبنسون كروزو " بأشكال سردية متنوعة كما ذكرها المؤلف ،ويبدو لنا روبنسون كروزو شابا في العشرين من عمره أحلامه الشباب في السفر والمغامرة يستأذن والديه في السفر و البحار ليحقق أحلامه ،لكن والديه يرفضان الموافقة

على هذه الفكرة حرصا على حياته "فالكاتب في عرض سرد رحلته من أولها إلى آخرها والمخاطر التي واجهته في طريقه.(3)

وأهمها ما يصطنعها الراوي من ضمائر السرد ،أثناء الحكى (أنا ،أنت ،هو) و التي تعتبر بمثابة محددات بنائية في معمار الحكاية .

¹ أحمد بن قاسم ،عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ،تح:نزار رضا،دارمكتبة بيروت،ط2 1994ص55

² المرجع السابق ابن طفيل قصة"حي بن يقضان"ص39

³ أحمد زلط ،الأدب المقارن نشأته وقضاياه ،الحكاية الخرافية أنموذجا ،هبة النيل العربية للنشر و التوزيع

ط1،2005،ص126

المبحث السادس: دراسة مقارنة بين المحاميل الثقافية و الأبعاد الحضارية بين "حي بن يقضان" و "روبنسون كروزو":

يقابل الأدباء و المفكرون غالبا بين قصة "دانيال ديفو" Daniel Defoe المعروفة "روبنسون كروزو" Robinson Crusoe وقصة ابن طفيل في "حي بن يقضان" ويعتقد الكثيرون أن دانيال ديفو قد إقتبس ومض قصته هذه من صلب التصورات العبقريّة التي جاءت في قصة "حي بن يقضان" فـ"روبنسون كروزو" عاش كما هو حال "حي" منفردا وحيدا في جزيرة، لكنه وصل إليها بعد أن تحطمت سفينته على صخور الجزيرة، حيث يستطيع الوصول إلى شاطئ الجزيرة عوما، بعد أن أعياه الجهد وأسقطه التعب نائما مرهقا من شدة الإعياء، وعندما أفاق "روبنسون كروزو" من غيبوبته صعد إلى تل قريب مستكشفا حوله في مطلب للأمن من الحيوانات المفترسة و المخاطر المحتملة التي قد تهدد حياته، وبعد أن يشعر بتوفر الأمن يتابع "روبنسون كروزو" البحث عن أولويات الوجود من ماوى وطعام، فها هو يعود عوما إلى حيث سفينته الغارقة ليأخذ منها مايمكن أن يحتاج إليه وينقله إلى الجزيرة، وهي تسلط الضوء على الفرد حين يعيش وحده في عزلة وها هو "روبنسون كروزو" (1) يحفر على شجرة تاريخ وصوله، ووضعه لنفسه أجندة حتى لا تمر الأيام دون أن يدري بها ونحن هنا كما هو جلي واضح أمام شخص له تجارب شخصية بالغة الأهمية فقد وصل (2) الجزيرة كبيرا، ولم يولد عليها كما حدث مع "حي بن يقضان".

يقول الأستاذ حسن محمد عباس: "ذهبت هذه الدراسة إلى القول بتأثير ديفو بقصة "حي بن يقضان" التي ترجمت إلى اللغة اللاتينية مرة، وإلى اللغة الإنجليزية ثلاث مرات، ولم تكن سوق الكتب لتخلو منها وذلك كله خلال حياة ديفو وقد إستنتجنا ما يلي أن كلتا القصتين تنتميان إلى الأدب الطوبائي الفكري، لكنهما تختلفان عنه في ذلك اللون من الأدب فكأن يعني بالجمهوريات أو المدن الفاضلة التي يحيا فيها مجتمع ما، بينما كانت

¹ عبد الباسط بن يوسف الغريب: نقد القصة الفلسفية "حي بن يقضان" www.saaid.net/book تاريخ الدخول

04/04/2017 على الساعة 20:18

² حسن محمود عباس "حي بن يقضان و روبنسون كروزو" دراسة مقارنة، بيروت 1983

شخصية كل من "حي بن يقضان" و "روبينسون كروزو" تعنى بالفرد، وبالنموذج الامثل الذي ينبغي له أن يكون عليه .

وقد لاحظنا أن العزلة ضرورية يقتضيها العمل الفني الطوبائي وقد كانت المظهر الرئيسي الثاني الذي شاركت فيه رواية "روبينسون كروزو" قصة "حي بن يقضان" ولدى تتبعنا للأسباب التي حدثت بابن طفيل و"دانيال ديفو" إلى عزل بطلهما وجدناهما متقاربة إلى حد ما كان مجيء كل من "حي" و "كروزو" إلى جزيرة عقابا على خطيئة أما "حي" فلم يرتكب الخطيئة وإنما ارتكبها أبواه بالزواج سرا، وقد إنصب عليه العقاب، وأما "كروزو" فقد ارتكب خطيئة معصية أبيه فاستحق عليها النفي .

لكن العقاب الذي حل بالبطلين لم يكن يقصد به هدم الحياة بل تصحيح مسارها، وكانت هذه هي مهمة العناية الإلهية التي لعبت دورا ملحوظا في كل من القصتين .

وقد لاحظنا حدثا مهما في كلتا القصتين يطابق غيره في الأهمية، أطلقا عليه "الصدمة" التي غيرت من مسار الحدث وجعلت الحياة تبدأ بعدها بدءا جديدا كموت الطيبة في قصة "حي بن يقضان"، وكالمرض و الحلم في رواية "روبينسون كروزو".

وبعد هذا البدء الجديد لاحظنا سلسلة من الأفعال المتشابهة كمحاولة إستكشاف الجزيرة وبناء البيت والمخزن وإستكشاف النار والإنتفاع بها و الصيد والإشتغال بالزراعة .⁽¹⁾

وقد إكتسب كل من البطلين كثيرا من معارفه العلمية و العملية بالملاحظة والتجربة فهو يخطئ تارة و يصيب تارة حتى يستقيم له وجهه الحق، فيما يعترضه من مسائل .

لعل هذه من أهم أوجه الشبه البارزة، ثم يذكر نقاط أخرى منها، ذكر آدم وفكرة تكون المجتمع بقاء الإنسان بالإنسان و إستنكار العري عند كلا الكاتبين، وقياس نجاح التجربة الروحية

¹ المرجع السابق: حسن محمود عباس "حي بن يقضان" و "روبينسون كروزو" ص 249-251

من خلال وجود وافدين جدد على جزيرتهما، ووجود التأمّلات الدينية و الوجود الصوفي في حدوث الرؤية للحدث ثم مغادرة الجزيرة .(1)

أما الشبه في بناء القصتين فيقول الكاتب: "ونلاحظ شبيها في البناء الفني لكل من القصتين كالحبكة القصصية المتقنة و غرابة الموضوع، وأن كليهما من قصص الشخصيات على الرغم ،من أن الفكر هو العنصر السائد فيهما، وضرربنا أمثلة لعنصر التشويق والإثارة قررنا بأن "حي" و "كروزو" شخصيتان متتاميتان يؤثر فيهما عامل الزمن ،تتطوران بتطوره ،كذلك لاحظنا البساطة في الأسلوب و الوضوح في المعنى في كلتا القصتين وهما ضرورتان أملت هما على الكاتبين(2) طبيعة الطبقة الإجتماعية التي إتجها إليها بكتابيهما (3)

1- اللقاء بين "حي بن يقضان" و "روبنسون كروزو"

لو وقفنا عند السنة التي توفي فيها مؤلف "روبنسون كروزو"

دانيال ديفو Daniel defoe (1731)، وسنة وفاة ابن طفيل (1185) للاحظنا أن مؤلف "حي بن يقضان" قد عاش قبل ديفو بحوالي خمس مئة سنة، و أن كلا الكاتبين قد عاشا في اسبانيا فترة من حياتهما، لذلك كان تأثر "ديفو" "بابن طفيل" أمرا طبيعيا (4)

لو تأملنا الفضاء الروائي المكاني لكلا الروائيتين للاحظنا تشابها كبيرا، فنحن أمام فضاء واحد تقريبا (جزيرة نائية) ، كذلك نجد فيها إنسانا وحيدا و يحاول أن يفهم و يستكشف كل ما يحيط به و و بذلك نجد لقاء في تركيز القصتين على شخصية واحدة رئيسية تعيش ظروف متشابهة المتمثلة في العزلة ، و البدائية و غيرها ...

¹ المرجع السابق: حسن محمود عباس 250-251

² المرجع نفسه: ص253

⁴ فاروق سعد. ابن طفيل "حي بن يقضان" بيروت 1974-ص23

كذلك تبدو الشخصية الثانوية، في كلا القصتين، شخصية طارئة (جمعة و أسال) تأتي الى الجزيرة بعد استقرار الشخصية الرئيسية اذ تم اللقاء بها بعد مرور فترة طويلة من العزلة في الجزيرة و قد لاحظنا انها أضفت الحيوية على فضاء القصتين، وأسهمت في تجديد ايقاعها.

نلمح في كلا القصتين الغاية التعليمية ، فإبن طفيل كما لاحظناه منذ المقدمة، يريد أن يدل على وجود الله باستخدام العقل و الحدس، دون استخدام الشريعة لذلك جعل من "حي" انسانا بدائيا يصل الى الايمان عن طريق استخدام العقل اولا ثم الحدس كأنه يطلب من الناس أن يمعنو النظر في هذا الكون ليتوصلو الى الايمان بعقولهم و قلوبهم لا أن يكون ايمانهم تقليديا ، يحول التواصل مع الله تعالى الى مجموعة من الطقوس لا علاقة لها بالقلب او العقل .

أما دانيال ديفو Daniel Defoe فقد كانت غايته تربوية، أنه يتوجه الى الشباب الذي يعشق المغامرة و السفر بالنصيحة طالبا إليهم النظر الى ما آل اليه حال روبنسون كروزو حين لم يستمع الى رغبة والديه في عدم السفر ، و نفذ ما يدور في راسه من أفكار فعانى متاعب جمة استمرت حتى لحظات سفره الأخيرة.(1)

انعكست في كلا القصتين ملامح من السيرة الذاتية للمؤلف ففي قصة " حي بن يقضان" نجد أهم القضايا التي أرقّت "إبن طفيل " هل تستطيع الفلسفة ان تؤدي الى الايمان بالله تعالى على نقيض ،القول الشائع "من تمنطق فقد تزندق "؟ ثم هل يكفي استخدام العقل ليصل بنا الى الايمان العميق أم نحن الى القلب و القوى الداخلية الحدسية الى جانبه؟ هل يستطيع العامة الايمان بهذه الطريقة؟ ام لا بد لها من الطريقة النقلية للايمان.(2)

قد نلمح في هذه القصة بعض المعاناة الروحية و الفكرية "لابن طفيل" ، كما نلمح بعض ملامحه الشخصية التي اسقطها على "حي" فجعله فيلسوفا و طبيبا ، و عالم فلك مثله.

¹ لوثي لوبيت بارالت "أثر الثقافة العربية في الأدب الإسباني" كتاب الرياض ، عدد(54)يونيو ، 1999ص63

² المرجع نفسه د.لوثي لوبيت بارالت ص64

أما قصة "روبينسون كروزو" فقد لمحنا فيها معاناة "دانيال ديفو" من عقوق ابنه، لذلك جعل روبينسون كروزو ابنا عاقا لوالديه و أسقط عليه غضبه ، مما جعله يعاني متاعب جمة في سفره و عاقبه بأن عاش معظم حياته وحيدا.

2) قصة "حي بن يقضان" وأثرها في قصة "روبينسون كروزو" :

يجب ان نتوقف بشيء من التفصيل إزاء قضية الصلة بين تلك الرواية وبين رواية ديفو "روبينسون كروزو" والتي يقول كاتب الويكبيديا: أن مؤلفها قد إستلهما من قصة "حي بن يقضان".

ولعل "جوتيه" هو أول من بحث عن علاقة قصة "حي بن يقضان" بقصة "روبينسون كروزو" المكتوبة عام 1719 ، ووقف جوتيه عند حد إفتراض إطلاع ديفو على قصة ابن طفيل في "دائرة المعارف الإسلامية" ذهب إلى إعتبار أن كروزو يمثل نمطا للرجل العملي دنويوا ،في حين حي بن يقضان مثلا للحياة التأملية التصوفية (1)

-ويأتي "إيرنست بيكر" في كتابه : "تاريخ القصة الإنجليزية" الصادر في لندن سنة 1943 م ليعتبر "حي بن يقضان" أحد المصادر المحتملة لقصة "روبينسون كروزو" وينضم ويليام كيري و ليفيج أولوفسون إلى أولئك الذين جزموا بإطلاع ديفو على قصة "حي بن يقضان" ،في حين يقف أوغسطين سيرارو وديرهارو دون الجزم ،أما الكتاب العرب امثال عمر فاروخ،ومحمد غالب ،محمد لطفي جمعة،وعلي المصراطي ،سعيد عبد الفتاح عاشور وكامل الكيلاني،فقد ذهب جميعهم على تأكيد أثر قصة "حي بن يقضان" في قصة "روبينسون كروزو" وممن إفترض أيضا إطلاع ديفو على "حي بن يقضان"

المستشرق A.M GOICHON كاتب مادة "حي بن يقضان" في الطبعة الجديدة من "دائرة المعارف الإسلامية" إذ كتب " IT Is Possible That Defoes Robinson "

1 الخطيب حسام الخطيب،الأدب المقارن ،من العالمية إلى العولمة،المجلس الوطني للثقافة و الفنون والتراث،الدوحة قطر ،2006م،ص40

Crusoe The First Part Of Which Appeared Is 1719owed Something
"To Ockleys Translation Ibn Tufayl

وترجمة ذلك أنه من المحتمل أن تكون قصي "روبسون كروزو" التي ظهر جزؤها الأول عام 1719 م مدينة بعض الشيء لترجمة أوكلي لقصة ابن طفيل .

كذلك يقرر كامل كيلاني في مقدمة ترجمته المبسطة للناشئين "روبسون كروزو" أنه قد ظهر فيه أثر للقصة العربية الخالدة "حي بن يقضان" .

كذلك كتب جميل صليبا وكمال عياد في مقدمة تحقيقهما لكتاب ابن طفيل مايلى : وتمتاز قصة ابن طفيل عن قصة "روبسون كروزو" من الناحية الفلسفية ،كذلك تمتاز على غيرها من القصص الفلسفية الشرقية بالقرب من الحقيقة الواقعة ،وبالوصف الطبيعي ورشاقة الأسلوب و سهولة العبارات وحسن الترتيب(1)

أما د.محمد غنيمي هلال فيستبعد أن يكون لـ"حي بن يقضان" تأثير على قصة ديفو لأن التشابه بينهما ظاهري ضئيل كما يقول علاوة على أن لقصة "روبسون كروزو" أصلا تاريخيا يتمثل في مغامرات البحار الإسكتلندي سيلكيرك التي تكلم عنها زميل له من البحارة عام 1709 م أي :قبل ظهور "روبسون كروزو" بعشر سنوات .

ومع ذلك محمد غنيمي هلال في ذلك الوقت يؤكد أن قصة(2) الكاتب الإسباني بلتاسار جراثيان : "الكريتيكون" التي ظهرت أجزاءها الثلاثة تباعا في خمسينيات القرن السابع عشر و التي تشبه قصة ابن طفيل لابد أن تكون قد تأثرت بهذه الأخيرة إذا من المؤكد في رأيه أن يكون جراثيان قد إطلع على قصة ابن طفيل رغم أنها لم تكن قد ترجمت بعد إلى أي لغة أوربية ،لأنه من الصعوبة بمكان أن نرجع هذا التشابه بين العمليين إلى مجرد المصادفة .

¹ المرجع السابق: الخطيب حسام الخطيب ص50

² محمد غنيمي هلال :الأدب المقارن نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع سنة 2001ص125

ونفس الشيء يردده كاتب ذات المادة في النسخة الفرنسية من طبعة 2009 م من "الإنكار" إذ يقول أن المؤلف قد إعتد جزئيا على مذكرات بعض الرحالة و الناجين من الغرق من أمثال سيلكيرك ثم لاشيء آخر⁽³⁾

3/الإختلاف بين "حي بن يقضان" و " روبنسون كروزو":

يدخل "روبنسون كروزو" الجزيرة النائية شابا، قد تكون فكره و تأصلت عاداته أي بدا لنا إنسانا مدنيا أجبر على الحياة البدائية أما (حي) فقد بدأ حياته فيها رضيعا (حسب الرواية الأولى) أو تخلق من تربتها (حسب الرواية الثانية) لذلك كان إنسانا بدائيا لصيقا بالطبيعة ،وقد قويت صلته بها مع الأيام إذ لم يعرف عالما غيرها فكان عالم الحيوان في الجزيرة دليله للحياة تعلم منه طرائف العيش البدائية.⁽¹⁾

إذا بدأ (حي) حياته في الجزيرة من الصفر، في حين وجدنا (روبنسون) يستعين بمخلفات السفينة المحطمة ،فإستطاع أن يوفر لنفسه عيشة متحضرة بفضل الأدوات التي عثر عليها في السفينة .

نظرا لعلاقة (حي) الحميمة بالطبيعة نجده إنسانا تغلب عليه الروحانيات والأفكار ،همه الأساسي البحث عن قضايا تورق قضايا الإنسان (الإيمان بالله، الموت، هداية الآخرين) لذلك لم تورقه قضايا الحياة المادية ،خاصة في المرحلة الأخيرة من حياته ،فقد رأى أن الإستغراق في التواصل مع الذات الإلهية يفسدها الإنشغال بالماديات لذلك كان طعامه بسيطا،يخصص له وقتا زهيدا ليصرف وقته في التأمل و العبادة ،في حين وجدنا (روبنسون) مشغولا بالعالم المادي ،همه الأساسي تأمين الطعام ليس لمعيشته اليومية فقط

³ عبد الرحمان بن محمد بن خلدون ،مقدمة ابن خلدون ،تج،نواف الجراح ،دار صادر-بيروت 2000 م ص98
¹ أشرف حسن محمد قصة"حي بن يقضان" و أثرها في الأدب قسم اللغة العربية ،كلية اللغات ،جامعة المدنية العالمية
 بماليزيا ص53

وإنما يفكر بمعيشته المستقبلية فيحاول تأمين مؤونة الشتاء، والعيش في مسكن على نسق عرفه في حياته السابقة .

لذلك نستطيع أن نقول أن روبنسون نقل الحياة المدنية بكل ماديتها إلى جزيرة، وربما لهذا السبب إبتعد عن القضايا الروحية، في حين جسد (حي) الحياة الروحية بتأثير الطبيعة التي إلتصق بها.

وكما يقول جان جاك روسو: "إن الإنسان الذي يعيش قريبا من الطبيعة إشتد تدينا

و إقتربا من الله من ذلك الإنسان الذي يعيش في المدينة ربما لأنه يزداد رهافة وإحساسا بمعجزات الكون و جماله لشدة معاشته للطبيعة، ورؤيته لتبدلاته المعجزة" لا أدري إن كان يحق لنا القول: إن قصة "حي بن يقضان" تجسد لنا علاقة الشرقي بالكون، والتي رأيناها تعتمد على التركيز على (1) الروحانيات وعدم الإهتمام بالماديات في حين تجسد لنا قصة "روبنسون كروزو" علاقة الغربي المادية بالكون وإن لا نستطيع أن نقبل هذا الحكم بشكل مطلق !!

إن شخصية (حي) هي شخصية فيلسوف يتأمل الكون ليفهم أسرارها يثير أسئلة جوهرية تتعلق بالوجود الإنساني، وكيفية تواصله مع الله، لذلك إجتمعت لديه شخصية الفيلسوف إلى جانب المتصوف هو يفكر في إصلاح غيره لذلك برزت لديه شخصية المصلح في حين "روبنسون كروزو" وجدناه إنسانا عاديا أقصى طموحاته تلبية حاجاته المادية (2).

وقد كان اللقاء بالشخصية الثانوية (جمعة) معززا للجانب المادي (لروبنسون) إذ يقوم بمساعدته في أمور حياته المادية في حين كان لقاء (حي) ب(أسال) معززا للجانب الروحي علمه اللغة إحدى أهم مفاتيح الأعماق و الأفكار ثم أخذه إلى مدينته العاصية ليسهم في إصلاحها .

¹ المرجع السابق: أشرف حسن محمد حسن ص54

² ابن طفيل "حي بن يقضان" إعداد د.سمير سرحان و د.محمد عنامي الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة القاهرة، 1999، ص7-8

لو تأملنا علاقة (حي) (بأسال) لوجدناها علاقة ندية إذ يتم تبادل المعرفة بينهما ويحاولان التعاون في سبيل إصلاح البشر

أما علاقة (روبينسون) (بجمعة) فقد كانت علاقة السيد بالمسود على نقيض علاقة (حي) (بأسال) وبذلك تتجسد لنا علاقة الغربي بالأخر، فهو السيد والأخر عبدا له

نلاحظ أن القصة لدى "إبن طفيل" مازالت بدائية رغم الإنجازات السردية التي

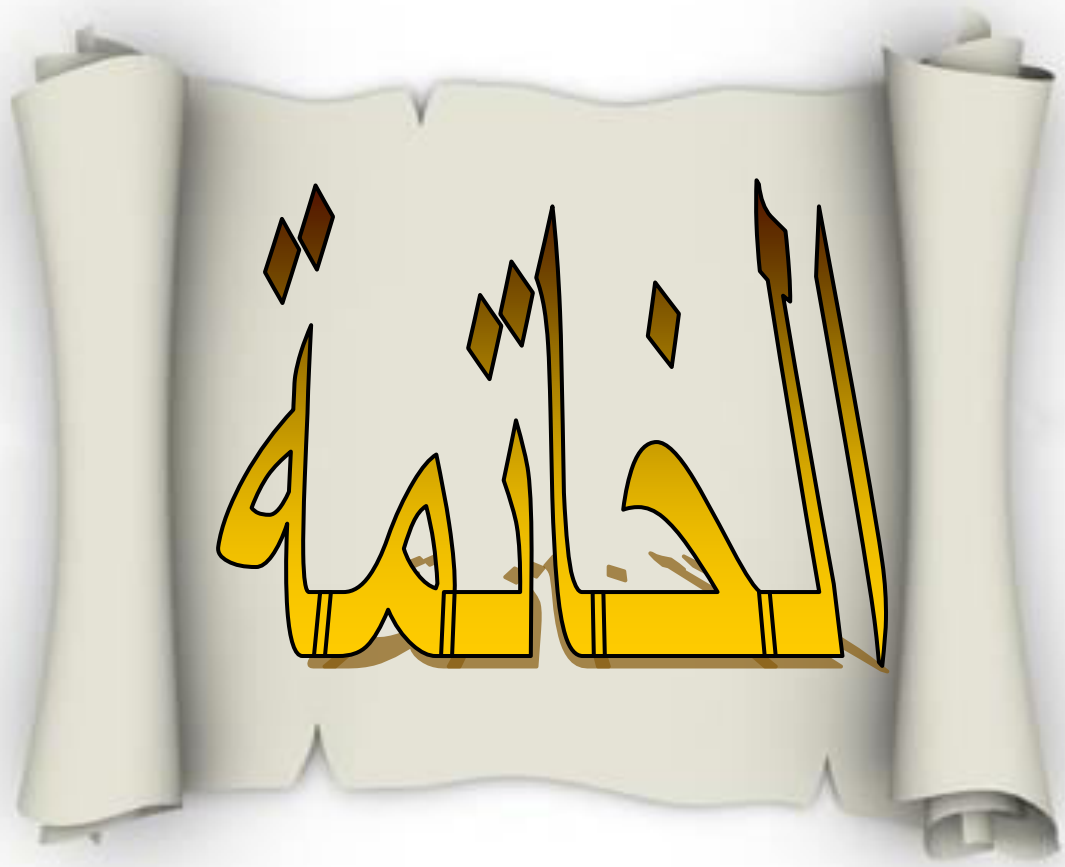
لا حضناها إذ لا نجد غالبا سردا متصلا بحدث معين أو بشخصية معينة خاصة إذا تجاوزنا المقدمة والخاتمة التي أشارت إلى جمالياتها سابقا، فقد إمتلأت القصة بالإستطرادات الفلسفية فأصبحت أشبه ما تكون بمقال فلسفي في أغلب الأحيان

في حين بدأ السرد القصصي في "روبينسون كروزو" متقنا يكاد يخلوا من الترهل والاستطراد فالحدث مشوق يتطور عبر حبكة متماسكة وقد إبتعدت الشخصية عن التجريد فلم تبدوا مجموعة أفكار كشخصيات إبن طفيل، بل رأيناها قريبة من الواقع

و هنا لابد أن نذكر مرة أخرى بالفارق الزمني "حوالي خمسة مئة سنة" . (1)

¹ دانيال ديفو "روبينسون كروزو" ت. كامل كيلاني، مطبعة المعارف بمصر ط3، د.ت ص13

الثالثة



- من خلال التحليل الإجرائي الذي قمت به، و الذي استغرق بعض جوانب الدراسة من خلال المقارنة بين قصتي "حي بن يقضان" لابن طفيل، و" روبنسون كروزو" لدانيال ديفو وذلك من خلال قراءتي و تحليلي لكنتا القصتين في حقل الأدب المقارن طبعا أمكنني التوصل على جملة من النتائج تتبلور داخلها أجوبة متعدّدة.

* تشكل دراسات التأثير، دراسات مهمة في حقل الدراسات المقارنة، لأنها تكشف عن طبيعة العلاقة بين الآداب المختلفة.

- تعتبر قصة حي بن يقضان قصة واصلة للنقل الفلسفي الشرقي بالغربي، واصلة للنقل الفلسفي بالديني، جامعة لأهمّ التصوّرات التي سادت القرون الوسطى عن الإنسان في علاقته بالعالم .

- ورواية "روبنسون كروزو" رواية أفكار و ليست رواية أحداث ومعنى هذا أن السبب في كتابتها ليس في أنّ الكاتب صورة لأحداث غريبة كي يعطي صورة عن التطور النفسي لشخصية القصة، وذلك فإن أثر ابن طفيل في "ديفو" يمكن أن يؤخذ في الحساب بشكل جدي و مؤثر.

- "فحيّ بن يقضان" قد أثرت في "روبنسون كروزو" و أن ابن طفيل عبر أجيال و فترة طويلة من الزمن ، قد رقد دانيال ديفو ابن القرن الثامن عشر ، ومد له يد العون في كتابة أول رواية إنجليزية .

- ظهرت قصة "حي بن يقضان" في القرن الثاني عشر الميلادي أي أنّها سبقت الأدب العالمي ، وفيها ظهرت القصة الإنجليزية "روبنسون كروزو" في القرن الثامن عشر الميلادي أي بعد ستة قرون من ظهور قصة ابن طفيل .

- لاقت قصة ابن طفيل اهتماما كبيرا للترجمة في الأدب الإنجليزي هذا يجعلنا نقول أنّه لا بدّ أن ثمة تأثيرا من قصة "حي بن يقضان" على قصة "روبنسون كروزو".

- كلتا القصتين تعنى بالنموذج الأمثل الذي ينبغي له أن يكون عليه و نتيجة لهذا التطابق في الشكل، شكل العمل الفني و المضمون الغاية التي سعى كلّ من البطلين إلى إدراكها ومن هنا فقصة "حي بن يقضان" هي النموذج الأمثل الذي حذا حذوه دانيال ديفو .

- رواية "ابن طفيل" قد أحدثت تأثيرا تعبيريا على رواية "دانيال ديفو" في إطار القصة الكاملة و تفصيلاتها الفرعية وهذا شاهد كبير عن الثقافة إذ تمثل تعبيرا عن حياة الأمم

و الشعوب وتلقي ضلالها و تأثيراتها على حياتهم و ظروف معيشتهم المختلفة .

فأرجوا أن أكون قد وفقت في تناولي لهذه الدراسة على النحو المطلوب و الله من وراء القصد و إليه المصير ، و صلى الله على سيّدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين .

الله الصالحين

الذين

قائمة المصادر و المراجع :

(1) القرآن الكريم برواية ورش عن مالك بن نبي .

(2) المراجع العربية :

1. ابن سينا و ابن طفيل و السهرودي ،حي بن يقضان ، تعليق و تحقيق أحمد أمين،دار الهدى للثقافة و النشر ط5،دمشق 2001.
2. ابن طفيل ،حي بن يقضان ،إعداد سمير سرحان و محمد عناني الهيئة المصرية العامة للكتاب و مكتبة الأسرة ، القاهرة 1999.
3. إبراهيم بن عبد الله بورشاشن،مع ابن طفيل في تجربته الفلسفية مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء ط11431هـ-2010م
4. ابن طفيل الأندلسي ،حي بن يقضان مكتبة النشر العربي،دمشق سوريا الطبعة الأولى 1935.
5. ابن طفيل الأندلسي ،حي بن يقضان ،تقديم و تحقيق فاروق سعد بيروت .
6. أنطوني لحبح،الثقافة و العولمة و النظام العالمي ترجمة شهرت عالم و هالة فؤاد محمد يحي،د.ت.
7. ابن طفيل قصة حي بن يقضان ، تقديم و إخراج عمر سعيدان دار الحوار للنشر و التوزيع ،ط2،1988
8. أشرف حسن محمد حسن، قصة حي بن يقضان و أثرها في الأدب، قسم اللغة العربية، كلية اللغات، جامعة المدنية العالمية ماليزيا.
9. أحمد بن قاسم ، عيون الأنبياء في طبقات الاطباء،تح:نزار رضا دار مكتبة بيروت ط2،1994
10. أحمد زلط ،الأدب المقارن نشأته و قضاياها،الحكاية الخرافية أنموذجا هبة النيل العربية للنشر و التوزيع ،ط1،200.
11. الطاهر أحمد مكي، في الأدب المقارن، دراسات نظرية و تطبيقية دار الفكر العربي للطباعة و النشر، القاهرة 1999

12. بكار يوسف، الأدب المقارن، الشركة العربية للتسويق، القاهرة ط1، 2010
13. جاي إن بوكو، روبنسون كروزو لدانيال ديفو، لندن 1966
14. حسن جاد حسن الأدب المقارن، دار الطباعة المحمدية ط2، 1967
15. حسن محمود عبّاس، حي بن يقضان و روبنسون كروزو المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت 1983
16. الخطيب حسام الخطيب، الأدب المقارن من العالمية إلى العولمة، المجلس الوطني للثقافة والفنون و التراث، الدوحة قطر، 2006
17. دانيال ديفو، روبنسون كروزو، ترجمة مروة ماهر الحق، مراجعة عبد الغني نجم، جهورية مصر العربية، القاهرة، ط1، 2013
18. دانيال ديفو، روبنسون كروزو، كامل كيلاني، مطبعة المعارف، مصر، ط3 د.ت
19. دانيال ديفو، روبنسون كروزو ترجمة أسامة إسبر، وزارة الثقافة دمشق، 2007
20. طه ندا، الأدب المقارن، دار المعرفة، الجامعة الإسلامية، مصر 1987
21. عبد الرحمان بدوي الهيئة المصرية العامة للكتاب
22. عيون الأنبياء جزء3، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1981
23. عبد الجواد بدر، منهج البحث في الأدب المقارن بحوث و دراسات دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر الإسكندرية، ط1، 2003
24. عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي عند ابن طفيل الأندلسي في كتابه حي بن يقضان، الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب العالمي الدار الإفريقية العربية 1990
25. عبد الأمير شمس الدين، الفكر التربوي عند ابن طفيل سلسلة موسوعة التربية و التعليم الإسلامية، دار اقرأ بيروت، 1404هـ-1984م

26. عبد الرحمان بن محمد خلدون ، مقدمة ابن خلدون تح:نواف الجرح،دار صادر بيروت ،2000.
27. فاروق سعد،ابن طفيل حي بن يقضان ،بيروت ،1974.
28. محمد غنيمي هلال ، مقدمة الأدب المقارن،دار العودة بيروت،1987.
29. محمد عبد الرحمان شعيب،في الأدب المقارن ،مطبعة دار التأليف، القاهرة ،1968.
30. محمد رمضان الجبري،الأدب المقارن،مطبعة دار الهدى فالتيا- مالطا،د.ت
31. محمد ألتونجي ،الأداب المقارنة،دار الجيل ،بيروت ،الطبعة الأولى 1416 – 1995
32. ماجدة حمود ،مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن دراسة منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق سوريا د.ت
33. مالك بن نبي ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ،ترجمة بسام بركة وأحمد شعبو،دار الفكر ،دمشق،سوريا،2002
34. مصطفى بن عبد الله القسطنطيني،تح.إبراهيم الزين ،كسف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون و الفنون ،دار الكتب العلمية ،بيروت 1978.
35. محمد غنيمي هلال ، الأدب المقارن ، نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع 2001
36. نجم عبد الله كاظم ، في الأدب المقارن مقدمات للتطبيق عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع ،إربد ، الأردن ،ط1،1439
37. يوسف بكار ،خليل الشيخ ، الأدب المقارن، الشركة العربية المتحدة للتسويق و التوريدات بالتعاون مع جامعة القدس المفتوحة ،2009
38. خاتم عماد،مدخل إلى تاريخ الأداب الأروبية ،الدار العربيو للكتاب ، ليبيا تونس 1979

3) المراجع الأجنبية :

1. John J. Richetti (2005) The Life Of Daniel Defoe Malden – Blackwel Publishing
2. Richard west (1998) daniel defoe the life and strange surprising adventures new york coroll ISBN – 978-0-7-867.
3. Bibliography Of Daniel defoe (1659-1731) retrieved august 2013.
4. The primitive crusoe 1719-1780 picturing first costway the illustration of robinson crusoe poul wilson and michoel jun 2012
5. Shinagel michael ed (1994) robinson crusoe norton critical edition ISBN 0-395-96452. Includes textual annotation and modern criticisims bibliography .
6. Daniel defoe. robinson crusoe introduction by virginia woolf the modern library new york. painted in the united states of america 2001
7. A possible source of daniel. fother adventure of robinson crusoe journal for eighteenth centry studies

4)المجلات و الدوريات :

1. شاغت و بوزورت ،سلسلة عالم المعرفة (عدد12) المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأدب ،الكويت 1988
2. لؤي خليل ، الأدب و الموقف من الآخر ،حي بن يقضان لابن طفيل و روبنسون كروزو لدانيال ديفو أنموذجا ،مجلة جامعة دمشق ، المجلد 30 العدد(1-2)
3. لوثي لوبيت بازالت ، أثر الثقافة العربية في الآداب الإسباني كتاب الرياض العدد (54)،يونيو 1999

5)المواقع الإلكترونية :

1. أنور أبو جندورة : الأبعاد الفلسفية في قصة حي بن يقضان لابن طفيل :
www.diwanalarab.com
2. أحمد أمين ،تاريخ حي بن يقضان : almaer.gor.kw
3. إبراهيم العريس ،روبنسون كروزو لدانيال ديفو :www.alhayat.com
4. أسلوب الكتابة عند دانيال ديفو في رواية روبنسون كروزو :
www.startines.com
5. توفيق فائز : تحولات حي بن يقضان لابن طفيل :
www.mominoun.com
6. دانيال ديفو ،المعرفة : www.marefa.org
7. الراجي عبد الرحيم مسألة التثاقف :www.aljabswaber.net
8. روبنسون كروزو ويكيبيديا الموسوعة الحرة :
<https://ar.wikipedia.org>
9. عبد الباسط بن يوسف الغريب ،نقد القصة الفلسفية حي بن يقضان
majeles.alukah.net :

10. عبد الله إبراهيم رواية من النخيل إلى البحث السردي :

www.alreyadh.com

11. فيصل عبد الوهّاب: قصة روبنسون كروزو لدانيال ديفو ،منتديات

منابر ثقافية : www.maneber.com

12. ملخص رواية حي بن يقضان : <http://www.doralarap.net>

13. ماجدة حمود ،مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن من منشورات

إتحاد العرب : www.startimes.com

14. منتدى الثقافة العامة :تلقى الغرب لقصة حي بن يقضان لابن طفيل :

www.djelfa.info

15. ماجدة حمّود،دراسات بلاغية و أدبية حديثة ،مقاربات تطبيقية في

الأدب المقارن ،الإختلاف بين حي بن يقضان و روبنسون كروزو موقع

جامعة أم القرى

16. محمد جهاد إسماعيل:تأملات في عالم الروبسنونات : عصر الكتب

www.book.juice:

17. مغاملات روبنسون كروزو لدانيال ديفو : <https://yaqut.com>

18. ممدوح عزام "روبسنون كروزو" كاملة بالعربية ،بعد أكثر بكتابتها

من قرن : www.archiveausat.com

19. مراجعة و مقارنة كتابين روبنسون كروزو و حي بن يقضان موقع

الباحثون : <http://albahethon.com>

20. حي بن يقضان لابن طفيل : www.thewhatnews.net

21. هيثم السليمان:ملتقى رابطة الواحة الثقافية قصة حي بن يقضان

للفيلسوف الصوفي ابن طفيل : rabitat.alwaha.net

22. هبة غانم ،جزيرة ابن طفيل تتسع للجميع

<https://www.alaraby.com>:

23. ويكيبيديا الموسوعة الحرة : <https://ar.wikipedia.org>

24. يسرى عبد الله. روبنسون كروزو لدانيال ديفو hadarat
ahram.org
25. Main caractes
(robinsoncrusoe) :www.jiffynotes.com
26. Robinson crusoe.genre retieved :www.shmoop.com

الفارس

الفهرس

الصفحة	الموضوع
	إهداء
	شكر و عرفان
أ،د	مقدمة
02	مدخل
الفصل الأول : قصة حي بن يقضان لابن طفيل	
13	المبحث الأول: حياة ابن طفيل
18	المبحث الثاني: الكتابة القصصية الفلسفية عند ابن طفيل أسبابها، دوافعها و أهدافها
31	المبحث الثالث: خصائص الكتابة القصصية، الفلسفية عند ابن طفيل
الفصل الثاني : قصة روبنسون كروزو لدانيال ديفو	
56	المبحث الأول : حياة دانيال ديفو
63	المبحث الثاني: الكتابة القصصية عند دانيال ديفو
85	المبحث الثالث : خصائص الكتابة القصصية عند دانيال ديفو
الفصل الثالث : دراسة تطبيقية مقارنة بين القصتين	
94	المبحث الأول: التسمية
97	المبحث الثاني: الشخصيات
100	المبحث الثالث: الأمكنة
102	المبحث الرابع: الأزمنة
104	المبحث الخامس : جماليات السرد
106	المبحث السادس: دراسة مقارنة بين المحاصيل الثقافية و الأبعاد الحضارية بين حي بن يقضان و روبنسون كروزو
116	الخاتمة
119	قائمة المصادر و المراجع
127	الفهرس